جامعة النجاح الوطنية - نابلس
كلية الآداب

الخليل

مهد الآباء والأجداد

ملخصات بحوث الندوة التي عقدت عن مدينة الخليل
في جامعة النجاح ٢٨ أيار ١٩٩٧ م

تحرير
د. خليل عودة
د. تيسير جبارة

الخليـــل
مهـــد الآبـــاء والأجـــداد

ملخصات بحوث الندوة التي عقدت عن مدينة الخليل
في جامعة النجاح ٢٨ أيار ١٩٩٧م

تحرير

د. خليـــل عـــوده

د. تيسير جبـــارة

المحتويات

الموضوع	الصفحة
- مقدمة الكتاب أ. د. رامي حمد الله	٧
- وقائع أعمال الندوة	٩
- كلمات الافتتاح	١٣
كلمة رئيس مجلس أمناء الجامعة الأستاذ عبد الغني عنبتاوي	١٥
كلمة عميد كلية الآداب د. خليل عوده	١٧
ملخصـــات البحـــوث	٢١
د. يونس عمر	٢١
* مدينة خليل الرحمن منذ النشأة حتى الإسلام	
محمد ذياب أبو صالح	٢٧
* الخليل مدينة الآباء والأجداد	
د. محمد حافظ الشريدة	٣٩
* الخليل من منظور إسلامي	
محمد هاشم غوشه	٤٧
* الخليل في مخطوطات العرب المسلمين	
خالد فهد القواسمي	٥٣
* إعمار البلدة القديمة في الخليل	

د. عزيز الدويك ٦٩
* الاعتبارات الجغرافية للاستيطان اليهودي في القدس والخليل

د. أمين مسعود أبو بكر ٨١
* الحي اليهودي في مدينة الخليل

د. تيسير جبارة ٨٧
* العرب في الخليل ليسوا سفاحين أيها المندوب السامي

د. تيسير مسودي ٩١
* الصراع الديمغرافي في الخليل

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

الأستاذ الدكتور رامي حمد الله

رئيس الجامعة

يأتي عقد الندوة التي أقامتها كلية الآداب بعنوان : **الخليل مهد الآباء والأجداد** رافداً آخر للمدينة التوأم مع مدينة القدس، وبين القدس والخليل تتلاشى المسافات، ويختصر الزمن، ليجمع في هم مشترك بين مدينتين فلسطينيتين، إحداهما تمسخ في شكلها ومضمونها وينزع عنها ثوبها العربي الفلسطيني، والأخرى تقسم قسمة غربان، لايريدون لحمامات السلام أن ترفرف في سمائها.

وندوة عن الخليل وللخليل تقام في جامعة النجاح الوطنية، هي الدليل على أن مدننا الفلسطينية ستظل في بؤرة إحساس كل الفلسطينيين، الساهرين على بقائها فلسطينية الوجه عربية الملمح، بالرغم من العواصف الهوجاء التي تنوء بها، وتهدد أمنها وسلامتها.

ولايملك الأكاديميون الفلسطينيون إلا أن يوظفوا الكلمة من أجل خدمة قضايا الوطن، وأن يخرجوا من بريق الشعارات إلى حقائق التاريخ، ومن زيف الادعاء، إلى جوهر الحقيقة، وهذا ما تجلى في بحوث الندوة العلمية التي عقدت حول مدينة الخليل، وجاءت تسميتها دليلاً على صدق انتمائنا لها : مدينة الآباء والأجداد، التي لايمكن لها إلا أن تكون كذلك.

وحرصاً من جامعة النجاح على أن تكون هذه الندوة بداية مثمرة لندوات أخرى تؤصل مفهوم الانتماء إلى مدننا وقرانا، وتدفع الباحثين إلى مزيد من البحث والدراسة حول الجذور التاريخية لصدق هذا الانتماء، فقد قررت جامعة النجاح إصدار أعمال بحوث هذه الندوة في كتيب يحمل اسمها، على أمل أن تكون ندوات ومؤتمرات أخرى حول الموضوع ذاته.

ويسرني أن أقدم الشكر لكل الباحثين الذين شاركوا في أعمال هذه النـــدوة، وقدموا خلاصة فكرهم، من أجل مدينة فلسطينية نعتز بها، ونرجو لها كل الخير على طريق تحريرها ورفع العلم الفلسطيني على كل جزء من أجزائها.

ولكلية الآداب وقسم التاريخ واللجنة التحضيرية الشكر والتقدير على هـــذا الجهد المبارك، وندعوهم إلى مزيد من العطاء المثمر والجهد الموصول لخدمـــة قضايا الوطن والإنسان.

وقائـــع نـــدوة
الخليـــل مهـــد الآبـــاء والأجـــداد
١٩٩٧/٥/٢٨

٩:٣٠ ١٠:٣٠ جلسة الافتتاح (أدارها د. تيسير جبارة، رئيس اللجنة التحضيرية)

تلاوة من القرآن الكريم

السلام الوطني الفلسطيني

كلمة إدارة الجامعة

كلمة رئيس بلدية الخليل

كلمة محافظة جنين

كلمة معالي وزير النقل والمواصلات

كلمة عميد كلية الآداب

١٠:٣٠ - ١١ استراحة

١١-١ جلسة العمل الأولى (أدارها د. هشام أبو ارميله)

د. يونس عمرو، جامعة الخليل
الخليل، نشأتها وتاريخها حتى الفتح الإسلامي

السيد محمد ذياب أبو صالح، دائرة أوقاف الخليل
الخليل ما قبل الإسلام

الدكتور سعيد عبد الله البيشاوي، كلية الطيرة، رام الله
الأوضاع الاقتصادية في الخليل في العهد الفرنجي

الدكتور محمد الشريدة، جامعة النجاح الوطنية
الخليل من المنظور الإسلامي

السيد محمد غوشه، وزارة السياحة والآثار
الخليل في مخطوطات العرب والمسلمين

١-٢ استراحة غداء

٢-٤ **الجلسة الثانية (أدارها : د. محمود عطا الله)**

خالد فهد القواسمي، مهندس إعمار البلدة القديمة في الخليل
الأعمار في الخليل

الدكتور عزيز دويك، جامعة النجاح الوطنية
الاعتبارات الجغرافية للاستيطان اليهودي في القدس والخليل

الدكتور أمين مسعود أبو بكر، جامعة القدس المفتوحة
الحي اليهودي في الخليل

الدكتور تيسير جبارة، جامعة النجاح الوطنية
أهل الخليل ليسوا سفاحين يا أيها المندوب السامي

الدكتور تيسير مسودي، مدير التربية والتعليم، الخليل
الصراع الديموغرافي الخليل

توصيات الندوة

١. حفز الباحثين والأكاديميين الفلسطينيين على كتابة البحوث وإعداد الدراسات التي تتناول الحديث عن مدينتي القدس والخليل بشكل خاص والمدن والقرى الفلسطينية بشكل عام.

٢. طباعة البحوث المقدمة لندوة الخليل وإصدارها في كتاب يحمل اسم الندوة وعنوانها.

٣. ضرورة عقد مثل هذه الندوة كل عام عن مدينة الخليل وذلك بسبب أهميتها على المستويين السياسي والوطني.

٤. توجيه الشكر إلى المشاركين في ندوة الخليل والإشادة بدورهم في إنجاح هذا النشاط الأكاديمي المتميز.

٥. تحسين البنية التحتية في المنطقة المحتلة من الخليل وجذب السكان إليها تثبيت السكان فيها.

٦. دعم وإسناد لجنة إعمار الخليل في ترميم وصيانة المباني في البلدة القديمة لتكون نموذجاً يحتذى به في العودة إلى الأرض الفلسطينية.

٧. إطلاع الجاليات الخليلية في الخارج على خطورة الوضع الديموغرافي والسياسي في الخليل، لحثهم على العودة إلى بيوتهم وأماكن سكنهم.

كلمات الافتتاح

كلمة السيد عبد الغني عنبتاوي
رئيس مجلس أمناء جامعة النجاح الوطنية

الأخوة والأخوات الحضور

يسرني بداية أن أرحب بكم في جامعة النجاح الوطنية، في هذا اليوم الذي نلتقي فيه مع نخبة من العلماء والمفكرين وأصحاب الرأي، حول موضوع يشغل بال الجميع، وهو مدينة الخليل، التي تتعرض لحملة استيطانية شرسة، ومحاولات جادة لطرد أهلها منها، وجعلها مدينة يهودية ذات أغلبية سكانية من اليهود المستوطنين الذين يعيثون فيها فساداً. ولأن الخليل هي مهد الآباء والأجداد، وهي مدينة التاريخ العريق، ومدينة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، فإنه لا يمكن أن نسلم بوضع يسلب مدينة الخليل بهاءها العربي والإسلامي، وينزع منها تراثاً عربياً إسلامياً امتد عبر آلاف السنين، لتصبح مدينة لأناس غرباء ليسوا من جنس المدينة ولا من طبيعة أهلها.

الأخوة والأخوات الحضور

لقد آن لمؤسساتنا التعليمية أن تجعل من المدن والقرى الفلسطينية موضوع بحث ودراسة، وأن تمثل المدينة والقرية بؤرة الاهتمام في فكر ووجدان كل الباحثين الفلسطينيين الغيوريين على بلادهم، والحريص على مواجهة الحجة بالحجة، والرأي بالرأي، فنحن أصحاب حق ولسنا أدعياء، ومن كان صاحب حق فإنه لا يخشى أن يطالب بحقه، وأن يجهر بصوته، وأن يسعى وراء طلبه.

لقد شكلت الخليل مع مدينة القدس حلقة صراع دائم من أجل البقاء والحرية، ومن أجل إثبات الوجود، ورفض الهيمنة عليهما، وظل الفلسطينيون يدافعون عنهما بكل الإمكانات المتوافرة لديهم، وفي ظل ظروف استثنائية صعبة، يتجاهل فيها العالم حقوق الناس ويتعاطف مع منطق القوة والغطرسة، والمصالح المتبادلة.

ونحن في ظل هذه الظروف الاستثنائية الصعبة لا نملك إلا أن نجمع أنفسنا، ونجمع رأينا، على قول سواء، يتيح لنا مواجهة الصعب، وما هو أصعب، لنخرج من هذه المعادلة بحقنا الذي نؤمن به، ولا نسمح لأنفسنا بالتنازل عنه.

أرحب بالحضور الكرام، وأشكر القائمين على هذه الندوة، وأشكر الباحثين، وأتمنى للجميع التوفيق والنجاح، متمنياً أن تتواصل مثل هذه الندوات التي تعمق وعي الفلسطيني بأرضه ووطنه.

وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله

كلمة الدكتور خليل عوده

عميد كلية الآداب

يأتي عقد ندوة يوم الخليل في جامعة النجاح الوطنية ضمن سلسلة النشاطات التي تقيمها كلية الآداب، وتحرص من خلالها على تأكيد دور الأكاديميين الفلسطينيين في وضع مدننا الفلسطينية في بؤرة الاهتمام، ومحور البحث والدراسة، فمع كل مدينة فلسطينية تتجسد ملحمة بطولة يخوضها شعب يحمل عبءَ مرحلة صعبة، تفرض عليه أن يقبضَ على الجمر حين يزدادُ لهبه، ويواجهَ الرياحَ عندما تكون عاتية، ويصارع الأمواجَ عندما تعلو فوق السفينة.

ومن كان هذا شأنه فقد حمل حِملاً ثقيلاً، ولا أظنُ حملاً أثقلَ من القدسِ والخليلِ على كاهل شعبنا الفلسطيني.

فقد علمنا التاريخُ أن القدسَ لا يمكنُ أن تكونَ الأندلس، لأننا في الأندلس خرجنا لتصبحَ الأندلس أسبانيا، وأما في القدسِ فسنبقى لتبقى القدسُ هي القدسُ عاصمةً لفلسطين.

وأما الخليلُ التي تَزرعُ نفسها في الخاصرةِ الجنوبية من فلسطين، فستبقى هي الحضنُ الدافئُ لأهلها ولكل الفلسطينيين، الذين يتمثلون فيها مدينةً عربيةً إسلاميةً، ولا يمكن لها إلا أن تكون كذلك، وسوف يسخرُ التاريخُ من محاولاتِ الزرعِ الفاشلةِ التي يحاولون إجراءَ التجاربِ عليها لأناسٍ ليسوا من جنسِ المدينةِ، ولا من طبيعةِ أهلها، فكيف يُزْرَعُ الإرهابُ المستوردُ مع عصابات حاقدة، مدعومةٍ بغطرسةِ القوة ووقاحةِ الاحتلالِ، مع دعوات التسامح والسلام والمحبة التي تتردد أصداؤها صباح مساء في أكنافِ الخليلِ، وبين جنبات الحرم الإبراهيمي الشريف. كيف يلتقي الاثنان هذا عذبٌ فراتٌ سائغٌ شَرَابُهُ، وهذا مِلْحٌ أُجَاج.

نحنُ لا ننكرُ على الآخرين وجودهم، ولكننا لا نريدُ لهم أن ينازعونا في حق من حقوقنا، أو أن يسلبونا مقدساً من مقدساتنا، فالخليل كما هي القدسُ، ستبقى مدينةً فلسطينيةً نفرح لفرحها، ونحزنُ لحزنها، وقد سعدنا كثيراً

بتحريرها، وسنسعدُ أكثرَ عندما يخرجُ الغرباءُ منها ليتمَ التواصلُ الفلسطيني الذي لا يمكن أن يتجزأ، فوادي النارِ الذي يفصلُ بيننا، هو وادي الأمل وبوابةُ النصر، والتاريخُ علمنا أن الأسوار تحطم، وأنَّ البواباتِ الحديديةَ تكسر، وأنَّ المعابرَ تفتح، ومن جهل هذه الحقائق، فليضع رأسه في التراب إلى حين، أما نحنُ فسيظلُ رأسنا مرفوعاً شامخاً فوقَ كل الجراحِ، لأننا ننظرُ إلى المستقبل، ونهيئ أنفسنا لحملِ رسالةِ الحياةِ من جديد.

لقد سعدنا كثيراً بهذه الندوةِ لأنها تضعُ مدينةَ الخليلِ أمام الباحثين الفلسطينيين، وتهيئُ لهم سبلَ البحث والدراسةِ حول تاريخِ المدينةِ في ماضيها وحاضرها، ونحنُ نشكرُ الباحثين على جهودهم، ونرجو لهم أن يوفقوا في كل ما يأتون به. ونرجو للحضور أن يسعدوا معنا في هذه الندوة، وأن يتواصلوا من خلال البحوث المقدمة مع مدينةِ الخليلِ.

وأما اللجنةُ التحضيريةُ التي أعدت لهذه الندوة، فأرجو من خلالكم أن أقدمَ لهم الشكرَ على جهودهم المتواصلة، وعلى حسن إعدادهم وتنظيمهم، والشكر موصولٌ إلى إدارة الجامعة وإلى كلٍّ من عمل معنا على إنجاح هذه الندوة.

وسلامٌ على الخليلِ وعلى أهلها، وعلى الحرم الإبراهيمي فيها.

الخليل في سطور

٥٥٠٠ ق.م.	الكنعانيون يسكنون تل الرميدة بالخليل، ويطلقون على مكان سكناهم اسم "قرية أربع"، ثم عرفت باسم "حبرون" أو "حبرى".
١٨٠٥ ق.م.	سيدنا إبراهيم الخليل وذريته يسكنون في جبل الراس مقابل تل الرميدة، ولما اتصلت حبرون ببيت إبراهيم سميت المدينة الجديدة باسم الخليل نسبة إلى خليل الرحمن النبي إبراهيم عليه السلام واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾ النساء: ١٢٥.
٥٠٠ ق.م.	الآدميون يتخذون الخليل عاصمة لهم.
٦١٤ م	الخليل تتعرض للغزو الفارسي وتتهدم بعض مبانيها وآثارها.
٧٨٥ م	الخليفة المهدي يقيم قبة حجرية أثرية فوق المصلى الرئيسي للحرم الإبراهيمي
٩٠٨ م	الخليفة العباسي المقتدر بالله يقوم بتعمير قبة سيدنا يوسف عليه السلام.
١٠٩٩	الخليل تتعرض لغزو الفرنجي وينم تحويل المسجد إلى كنيسة.
١١٨٧ م	صلاح الدين الأيوبي يحرر الخليل من الفرنجة.
١٢١٨ م	الملك المعظم عيسى يبني الرواق الذي يتقدم المصلى من الجهة الجنوبية في الحرم.
١٢٦٠ م	الخليل تتعرض للغزو المغولي.
١٥١٧ م	العثمانيون يدخلون الخليل.
١٨٣١ م	الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا بن محمد علي باشا يحتل الخليل.

١٨٣٥م	ثورة الخليل ضد الحكم المصري لأنه أمر بنزع السلاح من الأهالي بغرض التعبئة العسكرية .
١٨٣٧م	زلزال مدمر في الخليل .
١٩١٧م	الجنرال اللنبي يدخل القدس وتصبح الخليل تحت الاحتلال البريطاني .
١٩٢٩م	هبة البراق والصدام بين العرب واليهود في الخليل .
١٩٣٦م	إضراب عام وبدء الثورة الفلسطينية .
١٩٤٨م	احتلال اليهود لأجزاء من قضاء الخليل .
١٩٦٧م	سقوط الضفة الغربية بيد الاحتلال الإسرائيلي ودخول الجيش الإسرئيلي الخليل في ١٩٦٧/٦/٨م .
١٩٦٨م	زعيم المستوطنين ليفنغر يدخل الخليل ويسكن في فندق النهر الخالد .
١٩٧٠م	إنشاء مستعمرة كريات أربع .
١٩٧٩م	نسوة من كريات أربع بزعامة زوجة الحاخام ليفنغر يستولين على مبنى الدبوريا وتسكن فيه.
١٩٨٣م	الاعتداء الإجرامي الصهيوني على جامعة الخليل .
١٩٩٤م	باروخ غولد شتاين يرتكب مجزرة في الحرم الإبراهيمي إبان صلاة الفجر في رمضان .

مدينة خليل الرحمن منذ النشأة حتى الإسلام

د. يونس عمرو
جامعة القدس المفتوحة - الخليل

تعتبر الخليل من أقدم مدن الأرض بعامة وفلسطين بخاصة، إذ يرجع تاريخ نشأتها إلى حوالي ستة آلاف عام، وذلك حين سكنها أجدادنا العرب الكنعانيون أول مرة في الألف الرابع قبل الميلاد بعد الهجرات السامية من أرض الجزيرة، وذلك لم استهواهم من أرضها الخصبة وكثرة مياه ينابيعها، وموقعها الحصين، وكانت الخليل قد انتظمت فيها أربع قبائل كنعانية في أربعة مواقع هي: المركوم (منطقة بئر حرم الرامة اليوم)، وبيت عنات (بيت عينون اليوم)، وممرا أو نمرا (المكان المعروف اليوم بهذا الاسم مضافا إليه ما يعرف بخلة بطرخ)، وحقل عفرون أو ما عرف فيما بعد ببيت إبراهيم ووادي اشكول وهي : (مواقع تنتظم فيما يعرف اليوم بوادي التفاح، وخلة قشقلة حتى منطقة الحرم الإبراهيمي، سمي هذا الوادي بهذا الاسم نسبة لعناقيد العنب الضخمة التي كانت فيه، ولعل كلمة قشقلة اليوم تحريف لكلمة اشكول الكنعانية والتي تعني بالعربية عنقود) .

خلافاً لروايات مختلفة، فإنه نسبة لهذه الأرباع الأربعة سميت مدينة الخليل بقرية الأربع، هذا الاسم الذي ترسخ في فترة نشأة المدينة واستغله اليهود اليوم بجعله اسماً للمستوطنة القريبة لمدينة الخليل ايحاءً بأنه اسم يهودي ولليهود، في حين ألغي هذا الاسم عن هذه المدينة قبل مجيء إبراهيم " عليه السلام " إليها بزمن لا يعلمه إلا الله، لتعرف بالاسم (حبرة) أو (حبرون)، قبل مجيء سيدنا إبراهيم إليها الذي كانت رحلته إلى بلادنا في حوالي (١٩٠٠ قبل الميلاد)، أي بعد نشأتها بألفي سنة تقريباً . وهكذا فقد توحدت أرباع المدينة في فترة لاحقة من نشأتها ضمن نظام الممالك الكنعانية، لتعرف باسم (حبرة أو حبرون فيما بعد) بمعنى : المملكة المتحدة، وليتخذ من موقع آخر جديد مقراً لحكومة الاتحاد يعرف اليوم بجبل الرميدة، الذي يقع مقابلاً للمسجد الإبراهيمي من الناحية الجنوبية الغربية، وما زالت آثار مقر الحكومة والأسوار قائمة إلى يومنا هذا .

لقد ازدهرت هذه المملكة الكنعانية (حبرون) في ماضيها البعيد لتتخذ مكاناً بين ممالك فلسطين العربية الكنعانية وتصنع لنفسها ذكراً خارج أرض فلسطين، إذ ورد ذكرها ضمن وثائق تل العمارنة في مصر، والتي يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

إن ارتباط المدينة بسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام عبر التاريخ الديني والسياسي للمنطقة، وخاصة عند العرب المسلمين وإلى اليوم، يفرض علينا التوقف عند علاقة هذا النبي الجد الجليل بها . سبق ذكر وفادته عليها في حوالي (١٩٠٠ ق.م)، حين جاء إلى بلادنا فلسطين من أرض العراق، فارا بدين التوحيد من بطش الأشوريين، مارا بمدن كثيرة حتى استقر به المقام في منطقة النقب متخذاً من مدينة بئر السبع مقر إقامة وحكم بتبعية سياسية لحكومة مصر الفرعونية، وكان يأتي إلى منطقة الخليل زائراً في الصيف، فارا من حر صحراء النقب، ليقيم فيها إقامة المصطاف ضيفاً عند صديق له من العرب الكنعانيين، ذي شأن من أهل المدينة اسمه ممرا أو نمرا الأموري، ليسكن في عريش أو خيمة تحت بلوطات أو بطمات لهذا الرجل على عادة أهل الخليل في اتخاذ العرش منازل للاصطياف أيام الكروم، هذه العادة التي ما زالت إلى أيامنا هذه، وفي إحدى تلك الزيارات، بشر بمولد اسحق ويعقوب وشهد خسف قوم لوط من موقع اليقين قرب بني نعيم حتى كانت الزيارة التي ماتت فيها سارة (عليها السلام)، واحتار إبرهيم في مكان يواري فيه جثمانها، إذ لم يكن يملك أي مكان في المدينة، فتوجه إلى أهل المدينة يطلب منهم مكان قبر، حتى أعطوه المغارة التي يقوم عليها المسجد الإبراهيمي اليوم يواري فيها جسد زوجه سارة عليها السلام، وذلك بشهادة سفر التكوين نفسه (من ٣-٢٣/٩)، فيما نصه :

" وقام إبراهيم من أمام ميته وكلم بني حث قائلاً : أنا غريب ونزيل عندكم، أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي من أمامي فأجاب بنو حث إبراهيم قائلين له: اسمعنا يا سيدي-أنت رئيس الله بيننا، في أفضل قبورنا دفن ميتك لا يمنع أحد

منا قبره عنك حتى لا تدفن ميتك . فقام إبراهيم وسجد لشعب الأرض لبني حث.

وكلمهم قائلاً : إن كان في نفوسكم أن أدفن ميتي من أمامي فاسمعوني والتمسوا بي من عفرون بن صوحر أن يعطيني مغارة المكفيلة التي له التي في طرف حقله بثمن كامل يعطيني إياها في وسطكم ملك قبر " .

فبنو حث المذكورون في النص هم إحدى قبائل الخليل العربية الكنعانية وهم أصحابها، وعفرون بن صوحر هو أحد أبنائها، وما يعنينا من هذا النص ما سبق أن أشرنا إليه من وفادة إبراهيم " عليه السلام " زائراً للمدينة، حتى ارتبط بالمدينة من خلال هذا الموت وهذا القبر ارتباطاً صار أبدياً، ومع الزمن دفن إبراهيم وأبناؤه وأزواجهم " عليهم السلام " في هذا الغار، الذي أشهره هيرودوس الملك الأدومي العربي، حين بنى عليه السور القائم اليوم كعماد للمسجد الإبراهيمي في فترة سبقت ميلاد المسيح عليه السلام، إذ حكم كحاكم محلي في بلادنا جنوب فلسطين لحساب الرومان فيما بين عامي (٣٧ ق.م) وعام (٤ ميلادية)، هذا السور الذي بني بهدف إشهار مقبرة مقدسة أول الأمر ثم اتخذ منه كنيسة مسيحية مع حامية رومانية، بعد اعتناق الملكة هيلانة وابنها قسطنطين المسيحية في القرن الرابع الميلادي، وبقي المكان كذلك حتى حل عام (٦١٤ ميلادي) وهاجم الفرس بلاد الرومان، ومن ضمنها بلاد الشام، واعمل الفرس هدما في المدن، وكانت الخليل من بينها، إذ دمر الفرس السقوف والأبراج التي كانت قائمة على السور ليضعوا حداً لكون المكان كنيسة مسيحية، ويبقى خربا مدمراً إلى ما بعد الفتح الإسلامي، وحتى العصر الأموي حين بنى الأمويون عليه سقوفاً وكور وجعلوه مسجداً إسلامياً بقي على مر العصور كذلك، وإلى أيامنا هذه، حين ابتلى بالتقسيم بين اليهود والمسلمين على يدي الاحتلال في السنين البضع الأخيرة، بعد المجزرة الرهيبة التي حدثت للمسلمين في عام (١٩٩٤م).

لقد استمرت المدينة عبر عصور التاريخ المختلفة مدينة عربية متواصلة الوجود، وأهلها العرب يعيشون فيها ولم يغادروها، يأتي الغزاة ويذهبون وهم فيها، وقد كانت معروفة للعرب في الجزيرة قبل الإسلام، والدليل على ذلك ذكرها في حديث الانطاء لتميم الداري، ولكن باسمها القديم حبرون الاسم الكنعاني، هذا الاسم الذي تعرض للادعاء والتحريف، على أنه اسم مقابل للاسم العربي الاسلامي الخليل، من قبل أحد الباحثين اليهود، الذي يدعي ضمن نشرة عبرية توجد في مكتبة الجامعة العبرية بعنوان:" الاسم العربي لحبرون " – يدعي – بأن العرب المسلمين حين جاءوا إلى المدينة، كانت فيها جالية يهودية معتبرة، فسأل المسلمون هذه الجالية عن اسم المدينة، فقالوا لهم: اسمها حبرون، وسألوهم : ما معنى هذا الاسم؟، فأجابوهم : معناه صديق أو خليل، وهكذا سماها المسلمون بالخليل .

إن هذا الادعاء باطل من أصله، لأن حبرون تعني وحدة من المادة (حَبَرَ) التي تدل على اتحاد شقين وخاصة التئام الجرح، ودلالاتها على صديق في عبرية اليوم التي ترجع في جذورها إلى الكنعانية، هي دلالة مجردة، كما أن الاسم (الخليل) أطلقه العرب المسلمون على المدينة نسبة لصفة سيدنا إبراهيم عليه السلام ومقامه عند الله، استناداً إلى قوله تعالى : "واتخذ الله إبراهيم خليلاً"، بل إن الاسم حبرون، كان معروفاً للعرب المسلمين قبل الفتح بدليل استخدام النبي " صلى الله عليه وسلم " له في حديث الانطاء حين أقطع المدينة الصحابي الجليل تميماً الداري وهذا نصه :" بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أنطى محمد رسول الله لتميم الداري وأخوته حبرون والمرطوم، وبيت عينون وبيت إبراهيم وما فيهن، نطية بت بذمتهم ونفذت وسلمت ذلك لهم، ولأعقابهم، فمن آذاهم آذاه الله. لعنه الله. شهد عتيق بن أبي قحافة، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وكتب علي بن أبي طالب وشهد " .

ثم الدليل الآخر، أن الخليل في فترة الفتح الإسلامي، كانت خربة خالية مدمرة بفعل الهجمة الفارسية كما سبقت الإشارة، ولم يكن فيها من السكان أحد يسأل عن شيء، ويدعم هذه الحال نزول سورة الروم التي تسجل لتلك الفترة حين انتصر الفرس الوثنيون على الروم الكتابيين، وكانت الدعوة الاسلامية في بدايتها في الحجاز، وراح المشركون يعيرون المسلمين بهذا، فنزلت سورة الروم يبشر بها الله المسلمين بأن الغلبة ستكون لعباده قريباً حين يقول الله تعالى :" غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون " (آية ٣،٢ من سورة الروم) .

بل إن من الادعاءات السافرة، ما أطلقه فيليب هموند، الباحث الأثري الأمريكي، الذي أجرى حفريات في جبل الرميدة في سنة ١٩٦٦، ولم يعثر على شيء ينم عن أثر يهودي، وانتهت حفرياته مع حرب عام ١٩٦٧، غير أنه نشر نتائج بحثه بعنوان : "الخليل القديمة، مدينة داود" مع أنه لا وجود لأثر لداود فيها ولم يذكر في مقالته أنه عثر على ما يشير لعلاقة داود "عليه السلام" بالمدينة، وكان تصرفه مجرد ادعاء لنزع الأصالة عن المدينة وأهلها .

وهكذا فإن الخليل مدينة الآباء والأجداد باقية ما بقي هذا الكون، عامرة بنا نحن الفلسطينيين، وأن تعاقب الغزاة الذين سيذهبون، وتبقى المدينة أبداً عربية.

الخليل مدينة الآباء والأجداد

محمـــد ذيـــاب أبو صالح
رئيس ديوان أوقاف الخليل

مُقَدِّمَة

إن الحديث عن مدينة الخليل هـــو الحديـــث عـــن الحـــرم أي المســـجد الإبراهيمي الشريف . ولولا هذا المسجد المبارك لما كان لهـــذه المدينـــة هـــذه الشهرة العالمية التي طارت إلى أرجاء المعمورة وكل الآفاق . فالخليل هبة هذا المسجد كما أن مصر هبة نهر النيل وهذا ما قال به المؤرخ اللرد فينج " فجاءت قدسية ومكانة هذه المدينة من قداسة وطهارة المدفونين في هذه المغارة السرمدية فأبونا إبراهيم الخليل عليه السلام وأبناؤه وأزواجهم تحويهم هذه المغارة وتلـــف في جنباتها أجسادهم الطاهرة . فلا عجب أن يمتاز الخليليون بصفات ورثوهـــا عن جد الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام، فهم مشهورون بكثرة النسل كنســـل إبراهيم الخليل، والكرم الذي هو أحد صفاته، بحيث أنه لم يكن يتناول الطعام إلا برفقة أضيافه، علاوة على التضحية والفداء الذي وصف به حيث ضحى بابنـــه اسماعيل عليه السلام .

تعتبر الفترة الإسلامية للمسجد الإبراهيمي الشريف فـــي هـــذه المدينـــة المباركة من أزهى الفترات، فالمسجد الإبراهيمي بنى قبل الاسلام، ولا أدل على ذلك من اتجاه بنائه صوب القبلة ومازالت محاريبه وأروقته ومنابره شاهدة على إسلاميته منذ تأسيسه حتى يومنا الحاضر . فالحضارة الإسلامية منذ أربعة عشر قرناً وحتى يومنا الحالي لدليل أكيد على إسلامية هذا المسجد من أساســـه إلـــى أعلى حجر بني فيه. فمهما حاول المحتلون الصهاينة، والصليبيون في العصـــور الوسطى، ومن لف لفيفهم من تغيير لاسمه أو زج أنوفهم فيـــه إلا أنـــه مســـجد إسلامي بني مسجداً وسيبقى مسجداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

مدينة الخليل في بداية العصر الإسلامي

تشوفت الدعوة الإسلامية إلى هذه البلاد منذ فجر تاريخها، فقد أسرى بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس، ووجه الغزوات صوب بلاد الشام، كما أن الخليفة أبا بكر الصديق جهز جيشاً لملاقاة الروم، وفتح الخليفة عمر بن الخطاب هذه البلاد، وكانت معركة أجنادين في عام ١٣هـ المدخل الرئيسي لفتوح القدس، وهي تقع بالقرب من عجور من أعمال الخليل .

الخليل في مستهل الفتح الإسلامي لبلاد الشام

عندما تمت للمسلمين الفتوحات المباركة لهذه البلاد واصلوا عطاءهم الروحي، وانتماءهم العقدي فتوجهوا فوراً إلى هذا المكان الطاهر للتبرك بساكنه أبي الأنبياء . فأزالوا شعثه، وأصلحوا خرائبه، واتجهوا بمحرابه صوب القبلة، واعتبروه مكاناً مقدساً يزورونه، ويصلون فيه، ويرفعون الأذان على شرفاته، فازدهرت ساحاته، وعمر داخله بالمصلين المسلمين، بعدما كان في ظلام دامس، ونسيان مطلق، وانتابه من الدمار والخراب ما انتابه في عصور الفرس والروم .

المسجد الإبراهيمي في العصر الأموي

قام الأمويون ببناء المشاهد على أضرحة الأنبياء عليهم السلام، فتقرب الخلفاء بما يهبون إلى هذه المقامات من أنواع النذور والصدقات، وأجزلوا الأعطيات للفقراء والمحتاجين، وأوقفوا الوقفيات فكانت مثلاً رائعاً لقدرة الإنسان المسلم، وأصبحت نموذجاً حياً يحاكيها الإنسان حتى في هذه الأيام .

الخليل في العصر العباسي

فما من خليفة أو قائد أو ملك مسلم إلا وأدخل للمسجد الإبراهيمي هبة أو منحة، أو قدّم أعطية، وكان دور العباسيين عظيماً في هذا المضمار، فقد أسبل الخلفاء العباسيون العطايا والهبات على هذا المسجد ومنهم .

١. الخليفة المهدي سنة ٧٧٥م حيث زاد في عمارة هذا المسجد وقام بفتح الباب الشرقي منه.
٢. الخليفة المقتدر قام بإصلاحات داخلية وأمر ببناء قبة على اليوسفية.

وقد مر في هذه الفترة الرحالة على مدينة الخليل مثل ناصر خسرو والاصطخري وابن الفقيه والمقدسي والمؤرخ البكري وكلهم وصف درجة المقامات والأنبياء والسماط الخليلي.

الخليل في العصر الأيوبي

كان العصر العباسي من أزهى العصور في الحضار الإسلامية واستمر عدة قرون بيد أن الحروب الصليبية اجتاحت بلاد المشرق الإسلامي فعاث الصليبيون باسم المسيح الدمار والفساد في هذه البلاد، وقضوا على الأخضر واليابس، وكانت فترة حكمهم تتسم بالقوة والشدة والتعصب الديني الأعمى. فحولوا هذا المسجد إلى كنيسة، بيد أن المسلمين لم يستكينوا لهذا الأمر المرير فجردوا حملات ضدهم وهاجموهم في الخليل وكان ذلك عام ١١٠٧م إلاّ أن حملتهم لم تحقق أهدافها.

بيد أن القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي رحمه الله استطاع أن يخلص هذه البلاد من براثن الصليبيين وخاض ضدهم معارك طاحنة آلت إلى نصر المسلمين على الصليبيين . وقام رحمه الله بتثبيت إسلامية هذه البلاد وإعادة الحق إلى نصابه . فغرس فيها من القادة والجند ما يمكن أن يصد الغزوات، ويقف في وجه الطغاة، وتشرفت الكثير من العائلات في هذا البلد الصامد بشرف الخدمة والسدانة وما

زالت هذه العائلات تشرف على أعمال هذا المسجد الإسلامي العريق، علاوة على نشر العديد من جنده الأكراد في مساكن هذه المدينة الخالدة الذين ما زالوا يعيشون حتى وقتنا الحاضر في أكناف مدينة الخليل وهم المعروفون بعائلات الأكراد.

أما بالنسبة للعائلات العشر التي تشرفت بالإشراف على شؤون المسجد الإبراهيمي الشريف فقد كان يصرف بعدد أفراد أسرهم الطعام وهذا ما يعرف بـ " قمح الخبز " حيث بقيت هذه السنة إلى عصور متأخرة علاوة على صرف الشعير لخيولهم ليبقوا في رباط دائم إلى يوم الدين . والعائلات العشر التي نالت شرف السدانه والخدمة في هذا المسجد هي :

١- عائلة طهبوب ٢- الحموري ٣- زلوم ٤- المحتسب
٥- امام ٦- البكري ٧- الزرو ٨- القيمري
٩- عيلة ١٠- سودي .

وزاد عددها إلى أن أصبحت فيما بعد ثلاث عشرة عائلة حيث دخل عليها نظام الاستفراغ وكان لها شرف الخدمة في الرباطات و الخانات والمقامات .
ويمكن أن نتحدث عن بعض الانجازات التي قام بها الخلفاء في المسجد الإبراهيمي الشريف وهي :

أ. **المنبر** : من الأعمال الجليلة التي قام بها القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي والتي ما زالت شاهدة على قدرة هذا القائد وعظم الإسلام "**المنبر**"، فقد قام بنقله من عسقلان حيث صنع في زمن المستنصر بالله الفاطمي أبي تميم ونقل بأمر بدر الدين الجمالي مدير دولته برسم مشهد عسقلان وضع سنة ٤٨٢هـ وعليه تاريخ مكتوب بالكوفية وهو مصنوع من الخشب الخرط والتعشيق مما يعرف بالنقر واللسان وهو ما عرف بنظام المشربية في الصناعات الخشبية ويتكون المنبر من :

أولاً : **القسم الأول** : المدخل : يتخذ شكلاً مستطيلاً يقوم على دعائم خشبية تشكل إطار الباب، حفرت فيه الرقوم متداخلة بعناصر زخرفية بكتابة نافرة، وقد طعم الباب بالصدف وفي أعلاه اللوحة الرئيسية التي يعلوها تاج الباب الذي يعتمد على تجاويف مزخرفة، بزخارف مطلية بألوان مختلفة من الطلاء الذهبي، وتعلوه صفوف من المقرنصات أو الدلايات تشبه خلايا النحل وتعلو هذه المقرنصات طائفة من المقصوصات الخشبية التي تتخذ شكل الزهور وهو ما يعرف بالشرفات أو العرائس طليت باللون الذهبي .

ب. **السلّم** : يتكون من تسع درجات واجهاتها محلاة بأشكال زخرفية وحلزونية محفورة بالخشب تتخللها أوراق العنب ذات ثلاث أو خمس شرائح ويحف به دربزينات خشبيات قوامهما قطع من الخشب المخروط بأشكال بيضاوية . عشقت القطعة العمودية بالأفقية لتتخذ شكل الشبكة .

جـ. **المنبر** : الذي هو المنصة الذي جاء على شكل مقصورة مسقوفة على أربع دعامات مزخرفة، مطلي بألوان مختلفة، تعلوه مقرنصات مزينة برسوم نباتية طليت بألوان مختلفة، عمادها الطلاء الذهبي، تعلوها عرائس نباتية طليت باللون الأخضر. أما بدن المنبر فيتألف من قطع خشبية عشقت ببعضها بأشكال هندسية نجمية سداسية وخماسية اعتمدت طراز الاربسك فضلاً عن الأشكال الحلزونية على أوراق عنب تظهر عليها قطوف العنب.

من سلاطين العصر المملوكلي التركي :

أ. **الظاهر بيبرس** : حيث أخرج ما كان في إقطاعات الأمراء ووقف على الحرم الإبراهيمي قرية اذنا، وعمر القلعة، ومنع أهل الذمة من الدخول للمسجد الإبراهيمي وجدد قبة سيدنا إبراهيم الخليل.

ب. **الملك المنصور قلاوون الصالحي** : عمّر الرباط المنصوري والبايمرستان ورخّم داخل الحجرة الخليلية، كما أنه قرر أن تكون عائدات جوالي الذمة في القدس والخليل وبيت جالا لإعمار بركة السلطان.

الأعمال التي أقيمت على أيدي قواده، ما يلي :

القائد سنجر الجادلي :

١. قام ببناء الجادلية من ماله الخاص، حيث قطعت هذه المنطقة الواقعة في الجهة الشمالية للمسجد الإبراهيمي في الجبل وألحقت بالمسجد الإبراهيمي الشريف .

٢. جر عين ماء إلى الخليل وعمر في المسجد عمائر وأصلح أوقافاً .

٣. في عام ٧٣٢هـ قام ببناء دكة المؤذنين المقابلة للمنبر .

٤. قام ببناء قبة الغار الشريف .

من أعلام مدينة الخليل من العصرالمملوكي

١. الشيخ الإمام محي الدين أبو محمد عبد العزيز الخليلي الداري، أنشأ بالقاهرة المدرسة المجدية الخليلية.

٢. الفقيه شرف الدين قاسم : الذي ما زال أحفاده القواسمه في الخليل إلى يومنا الحاضر، وله ضريح بمدخل المدينة ومبني عليه زاوية القواسمه.

٣. عمر بن عبد العزيز التميمي : وقد تولى الوزارة زمن الظاهر بيبرس.

٤. الشيخ المقرئ العلامة القدوة المحقق أبو إسحاق الجعبري ولد بقرية جعبر سنة ٦٤٠هـ .

٥. القاضي التدمري وله كتب في الفقه.

٦. الشيخ عمر المجرد الذي ما زالت زاويته بجوار الحرم الإبراهيمي الشريف .

مدينة الخليل في عصر المماليك الشراكسة

١. الملك الظاهر برقوق العثماني : تولى في عهده ناظرا للحرم الأمير شهاب الدين اليغموري سنة ٧٩٦هـ .

٢. وفي عهد الأشرف برسبابي كان ناظراً للحرم الإبراهيمي أركماس الجلباني، كان حاكماً معتبراً عمّر الأوقاف ونماها واشترى المعاليم للوقف مما أرصده من المال .

٣. الملك الأشرف قايتباي : تولى في عصره الحرم والأقصى الأمير ناصرالدين النشاشيبي سنة ٨٧٥هـ، وحدثت في عهده الفتنة بني الداريين والأكراد، فسيّر هذا الملك في عصر القادة والعلماء لإصلاح ذات البين .

دور العبادة في مدينة الخليل

تزخر مدينة الخليل بالعديد من دور العبادة والمساجد والزوايا الرباطات والأسبلة وغيرها :

أولاً : الزوايا :

هناك العديد من الزوايا التي كانت مقراً بل وموئلاً لأصحاب الطرق والمشايخ وأصحاب الذكر، ممن يفدون إلى جوار المسجد الإبراهيمي للمجاورة والنسك بجوار الأنبياء، ومن هذه الزوايا:

١. زاوية الأشراف : بجوار الحرم من الجهة الجنوبية الغربية، حيث امتد إليها عبث المستوطنين اليهود أخيراً، وهي تعود لعائلة الشريف، حيث يدفن فيها آباؤهم وأجدادهم.

٢. زاوية الشبلي : وهي في داخل المدينة القديمة وبها يدفن رجل صالح يعرف بالشبلي.
٣. زاوية علي البكاء : ويقام عليها مسجد جدد حديثاً، ومئذنتها ما زالت شاهداً على عصرها، وعظمة من أمر ببنائها، ويقع بجوارها ضريح الناسك العابد المرحوم الشيخ علي البكاء.
٤. الزاوية القادرية
٥. زاوية قيطون
٦. عمر المجد
٧. القواسم وغيرها من الزوايا.

ثانياً : الرباطات :

حيث كانت تستعمل للوافدين على مدينة الخليل، فيؤمن لهم الطعام والمنام ودور العبادة، طيلة فترة وجودهم فيها، وهذه الرباطات :

١. الرباط المنصوري ٢. رباط الجماعيلي ٣. رباط الطواشي
٤. رباط مكي

ثالثاً : الخانات :

والخانات كانت تستعمل للوافدين إلى هذه المدينة المباركة بحيث أن الوافد يحضر دوابه فيؤمن مبيتها ويؤمن سكن له وإطعامه والحمام بجوار هذا الخان وكأنها خدمة فندقية .. منها :

١. خان الخليل ٢. خان شاهين ٣. خان المحتسب.

رابعاً : المقامات :

هناك العديد من المقامات التي تزخر بها هذه المدينة منها:

١. مقام الشيخ رشيد ٢. مقام الزاهد ٣. مقام العجمي
٤. الصوفي ٥. مقام الأربعين

خامساً : آبار السبيل :

هناك العشرات من آبار السبيل التي أوقفت على مصالح المسلمين للسقاية، وقد اندثر منها ما اندثر، وبقي منها العديد حتى وقتنا الحاضر.

سادساً : الوكالات :

بحيث كانت تستعمل للحرف أو التجارة ، منها الطوابق السفلية أما الطوابق العلوية فكانت مسكناً، ومن هذه الوكالات في السوق القديم :

١. وكالة الدويك ٢. وكالة النتشه

سابعاً : الحمامات :

وقد أنشئت الحمامات لأغراض النظافة والصحة العامة وبنيت على نسق ممتاز من الفن الإسلامي الذي ما زال شاهداً عليها وهي :

١. حمام الخليل الذي أعيد ترميمه حالياً بإشراف السلطة الوطنية الفلسطينية.
٢. حمام البركة وهو مهجور.
٣. حمام داري وهو موقوف عن العمل حالياً بسبب الأوضاع الراهنة.

الخليل في العهد العثماني

على أثر حسم معركة مرج دابق لصالح العثمانيين عام ١٥١٦م فقد دخلت هذه البلاد تحت الخلافة العثمانية وأصبحت فلسطين من الولايات العثمانية.

في القرن الثاني عشر كانت مدينة الخليل تشتهر في مجالات مختلفة صناعية وزراعية وتجارية فقد اشتهرت بصناعة الصابون وغزل القطن وصناعة الزجاج ومزروعات العنب والتين والقطن والزيتون ووصف أهلها بالصدق والأمانة واتجهوا بتجارتهم صوب مصر والشام فما من خليفة أو وال تركي إلا وترك أثراً في المسجد الإبراهيمي وما زالت آثارهم شاهداً عليهم وما زال التراث العثماني إلى وقتنا الحاضر. مثل :

١. الإزار الحجري المحيط بالحرم الإبراهيمي من الداخل، حيث يوشحه بزنار مكتوب عليه سورة ياسين، يبدأ من المحراب وينتهي به، وقد قام بكتابته عبد الله السلفيتي عام ١٣١٩هـ.
٢. الحجر الرخامي الموضوع على باب بئر الغار سنة ١٢٠٨هـ.
٣. أبيات شعر منحوته على حجر رخامي مثبته على عتبة الباب العلوي للشباك الشرقي.
٤. القاشاني التركي داخل الحرم. مكتوب على قاشاني آيات قرآنية في الجزء الجنوبي الشرقي للحفرة الإبراهيمية.
٥. الأعمال الخشبية.
٦. الشبابيك والقمريات التركية.
٧. القناديل والمزهريات المعدنية.
٨. الشمعدانات.
٩. الكسوة الحريرية للأضرحة.
١٠. تيجان ورؤوس ببارق.
١١. القطع الجلدية.

وكل هذه الأعمال ما زالت شاهداً على عظمة وقوة الخلفاء العثمانيين حتى يومنا الحالي.

الخليل في العهد البريطاني

بعد انهيار الخلافة العثمانية عام ١٩١٨م دخلت هذه البلاد تحت سيطرة الاستعمار البريطاني ووقعت الخليل كسائر البلدان الأخرى تحت نير الاستعمار. وتولى الإشراف على المسجد الإبراهيمي المجلس الإسلامي الأعلى فأدخل العديد من الإصلاحات والتعميرات والإشراف المباشر على المقدسات الإسلامية ولم يسمح لأي طائفة التدخل في شؤون هذا المسجد الإسلامي، أما المدينة فقد أدخل المستعمر البريطاني إليها معه الآلة والسيارات، والتقدم في بعض النواحي العملية، أسوة ببقية المدن الأخرى والبلاد التي بسط نفوذه عليها، لقاء نهب خيرات وموارد هذه البلاد واستغلال أهلها وثرواتهم وممتلكاتهم للمصالح الاستعمارية.

الخليل في العهد الأردني

لقد تطورت البلاد في هذه الفترة وزاد عدد السكان، وأدخلت الصناعة وتقدمت التجارة والعمران، وزاد التعليم وارتفع المستوى بشكل عام، وتغيرت الأوضاع إلى الأحسن، ورتبت الوظائف في الحرم الإبراهيمي، وزاد الموظفون، وأدخلت عليه الإصلاحات والترميمات.

الخليل في عهد الاحتلال الإسرائيلي

منذ ٥ حزيران ١٩٦٧م وحتى وقتنا الحاضر تعتبر مدينة الخليل والحرم الإبراهيمي الشريف في هذه المرحلة من أشد المراحل قسوة التي مرت عليها. فعلى الرغم من التوسع في مجالات البناء في هذه المدينة، فقد كان الاحتلال قاسياً، فقد دخل المستوطنون إلى أكناف هذه المدينة، وربضوا على أكتافها وقاموا ببناء المستوطنات بجوارها، وكادوا أن يفرغوا المدينة من الداخل ويطردوا سكانها ويخربوا أجوائها، توطئة لاستبدال أهلها بمستوطنين يهود، ودمروا اقتصاد البلد وغيروا العديد من معالم هذه المدينة، وقسموها إلى حارات وأقسام تفصل بينها الأحياء اليهودية، كما وأنهم عاثوا بالمسجد الإبراهيمي الشريف الخراب والدمار،

فحولوا قسماً كبيراً من هذا المسجد إلى كنيس يهودي لعبادتهم، وأدخلوا أدوات العبادة اليهودية في هذا المسجد الإسلامي، وحاولوا إحراقه وتدميره، وذبحوا المصلين فيه ومزقوا القرآن وداسوه بنعالهم، وأجروا تغييرات عظيمة على معالمه وساحاته ومداخله، حتى أنهم حددوا عدد المصلين المسلمين فيه. وقاموا بمواصلة الاعتداءات عليه، وحولوا داخله إلى ثكنه عسكرية لمنع وصول المسلمين إليه ومزقوا سجاده وسرقوا محتوياته، وداسوا قداسته وارتكبوا الموبقات فيه؛ كالزنا وشرب الخمر وختان الأطفال، وإقامة الحفلات الماجنة والموسيقى الصاخبة ... إلخ، وهذه الاعتداءات تربو على ستمائة اعتداء موثق.

الخليل في عهد السلطة الوطنية الفلسطينية

بعد استلام السلطة الوطنية الفلسطينية لأجزاء من هذه المدينة، فقد قامت – وما زالت تقوم – بإعادة إحياء ما تم هدمه وتخريبه وهجره داخل البلدة القديمة من أسواق ومبان مهجورة، وإعادة الحياة النابضة إلى هذه المدينة التي كان داخلها يتراءى كالأشباح من هجر المواطنين لها وإحلال المستوطنين اليهود فيها. وشكلت لجنة لترميم المباني الأثرية في مدينة الخليل، التي هيأت طاقماً متكاملاً من المهندسين والمهرة، في ترميم المباني العربية الإسلامية داخل البلدة القديمة ومع ذلك لم تسلم إنجازاتهم من تدخل القوات الإسرائيلية من منعهم من مواصلة العمل في العديد من الأبنية الآيلة للسقوط، بحجة الحفاظ على الأمن الإسرائيلي إرضاء لأطماع المستوطنين.

فالخليل مدينة عربية إسلامية من ساسها إلى رأسها وكل حجر وكل ذرة تراب تشهد على إسلامية هذه المدينة، من أربعة عشر قرناً حتى وقتنا الحاضر، فليس لأحد أي أثر فيها، وهذا ما أثبتته معاول المنقبين وأقلام الباحثين، وصحائف المؤرخين، فهي مدينة عربية إسلامية منذ الأبد إلى الأزل إن شاء الله.

الخليل من منظور إسلامي

د. محمد حافظ الشريده
جامعة النجاح الوطنية

مُقَدِّمَة:

إذا كانت كل من جنين وطولكرم وقلقيلية تمتاز بأهميتها الزراعية والاستراتيجية، وإذا كانت القدس وبيت لحم تمتازان بأهميتها الدينية، وإذا كانت أريحا تمتاز بأهميتها التاريخية، وإذا كانت نابلس تمتاز بأهميتها التجارية، وإذا كانت غزة تمتاز بأهميتها البحرية، وإذا كانت رام الله تمتاز بأهميتها السياحية، وإذا كانت سبسطية تمتاز بأهميتها الأثرية ... فإن مدينة الخليل تمتاز من منظور إسلامي – بأهميتها الدينية والدنيوية، الجغرافية والتاريخية، السياسية والسياحية، الزراعية والصناعية والتجارية، الاستراتيجية والاقتصادية، وكيف لا تكون كذلك: وهي مدينة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ؟!

لمحة جغرافية

يعتبر قضاء الخليل أحد الأقضية الثلاثة – القدس ورام الله والخليل – التي تشكل لواء القدس، حيث تبلغ مساحته (٢,٠٧٦كم^{٢}) أي نصف مساحة اللواء تقريباً. وقضاء الخليل ثاني أكبر قضاء في فلسطين كلها بعد قضاء بئر السبع. وتمتاز حدود هذا القضاء بتعرّجها الشديد عند عبورها مناطق طوبوغرافية مختلفة. ولا توجد هناك معالم جغرافية واضحة باستثناء قطاع صغير على الحدود مع قضاء القدس. ويلتقي قضاء الخليل مع البحر الميت – في الجهة الشرقية – بمسافة مقدارها (٢٨كم)، ومع قضاء القدس – في الجهة الشمالية – بمسافة مقدارها (٩٥كم)، ومع لواء حيفا – في الجهة الشمالية الغربية – بمسافة (١٤كم)، ومع قضاء غزة – في الجهة الغربية – بمسافة مقدارها (٢٥كم)، ومع قضاء بئر السبع – في الجهة الجنوبية – بمسافة مقدارها (١٠٠كم)، هذا

وأقصى عرض لقضاء الخليل من الشرق إلى الغرب : (٥٤كم)، وأقصى طول له من الشمال إلى الجنوب : (٤٨كم) .

وقد كان يتكون هذا القضاء قبل النكبة الأولى عام ١٩٤٨م من أربع وثلاثين قرية، وعشرات الخرب، وقبائل بدوية – كعرب الجهالين والكعابنة والزويدية والصرايعة –، بالإضافة لمدينة الخليل نفسها.

وطبيعة القضاء جبلية، وبه مناطق ترتفع (٨٠٠م) فوق مستوى سطح البحر. و على أثر النكبة الأولى : اقتطع أكثر من نصف مساحة القضاء وضم إلى ما يسمى بإسرائيل!

لمحة تاريخية

الخليل من أقدم مدن فلسطين، بل من أقدم مدن العالم ! ولها أسماء كثيرة – ومن المعلوم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى – ومن هذه الأسماء : **قرية أربع** : حيث بنيت في بداية تأسيسها على أربعة جبال، وقيل : سميت بذلك: لأنها مقسمة لأربعة أرباع : (حسب تنظيم المدن السامية آنذاك)، وقيل : سميت بذلك : نسبة إلى أربع : تلك الشخصية الكنعانية، من نسل كنعانِ بن حام بن نوح (عليه السلام)، الذي كان أول من بناها وسكنها، وقيل : سميت بذلك : نسبة لتلك القبائل الكنعانية، : (أربع) التي بنت المدينة واستقرت فيها . ومن أسمائها : حبرون، والحبور : كلمة سامية معناها : الحسن والبهاء، وقيل : بل هي نسبة للحَبْر وهو العالم الواسع الإطلاع . ومن أسمائها كذلك : قرية إبراهيم، وقرية مسجد إبراهيم، وخليل الرحمن، والخليل، وحبرى، وبيت عيون ...

هذا ويدور تاريخ المدينة إلى (٣,٥٠٠ سنة ق.م) . وقد بنيت الخليل على سفح جبل (الرميدة)، في حين كان بيت إبراهيم على سفح جبل (الرأس) المقابل له، وحينما اتصلت المدينة ببيت إبراهيم سميت المدينة الجديدة بمدينة الخليل : نسبة لخليل الرحمن أبي الأنبياء (عليه السلام) .

إبراهيم الخليل

ولد سيدنا إبراهيم في أرو ببابل – أرض الكلدانيين منذ ٣,٧٠٠ سنة تقريباً، وينتهي نسبه إلى سام بن نوح. وقد انطلق به أبوه – آزر – وبسارة وبلوط من سواد العراق إلى أرض الكنعانيين، ومات آزر في حران التي كان أهلها يعبدون الكواكب والأصنام. وكان إبراهيم (عليه السلام) قد آتاه الله رشده منذ نعومة أظفاره، وابتعثه رسولاً لقومه، واتخذه خليلاً، وجعل جميع الأنبياء بعده من نسله. وسمي إبراهيم بالخليل : لأنه وصل إلى كمال المحبة والصدقة والطاعة لله تبارك وتعالى. وسمي كذلك : بأبي الضيفان : لأنه كان يكرم ضيوفه، ولا يأكل إلا مع الناس! وسمي كذلك : بأبي الأنبياء : لأنه جاء من نسل ولده إسحاق : جميع أنبياء بني إسرائيل، ومن نسل ولده إسماعيل : خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وسلم).

ودعي إبراهيم كذلك : بأمة. والأمة : هو الذي يعلّم الناس الخير وحده، وقيل : بأن الأمة : الإمام المهتدي الهادي القدوة الداعي إلى الخير. وقد قام إبراهيم بالدعوة إلى الله في بلاد العراق والشام ومصر والجزيرة العربية. وهو من خيرة أولي العزم من الرسل (عليهم الصلاة والسلام)، وهو أول من هاجر من بلده في سبيل الله.

أيهاالأحفاد : إن الخليل مدينة الأجداد!

حينما هجر إبراهيم قومه في الله وهاجر من بين أظهرهم، كما قال تعالى: " فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم " [سورة العنكبوت آية ٢٦] : جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، كرامة من الله تعالى، حين ترك بلاده وذويه إلى بلد يتمكن من عبادة ربه فيه : وبشرّه الله عز وجل بأنه سيجعل أرض الشام المباركة لخلفه الصالحين من بعده، كما جاء في سفر التكوين – الإصحاح الثاني عشر :- " وقد قال الله لإبراهيم : إذهب إلى

الأمام من بلادك ومن منزل والدك، وادخل إلى أرض كنعان، وسوف أمنح تلك الأرض لك ولذريتك للأبد، وسوف أكون معك " . ومعلوم أن وراثة الدعوة وبركة الإمامة لا تكون للمغضوب عليهم أو الضالين : كما قال تعالى : " وإذا ابتلى إبراهيم ربُّهُ بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين " [سورة البقرة آية ١٢٤] . وقد نزّه الله تعالى خليله إبراهيم عن أن يكون يهودياً أو نصرانياً، وبين أنه إنما كان حنيفاً مسلماً ولم يكن من المشركين، ولهذا قال عز من قائل : "إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين"، [سورة آل عمران آية ٦٨]. وقد مدح الله تعالى إبراهيم (عليه السلام) في القرآن الكريم في خمسة وثلاثين موضعاً معظمها في سورة البقرة. وبين القرآن الكريم أن إبراهيم الخليل كان موحداً مسلماً وما كان من المشركين أو اليهود أو النصارى، وكيف يكون كذلك وهو الذي حطّم الأصنام، وكيف يكون كذلك أيضاً : وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعد وفاته بقرون ؟!

هذا وقد أقطع النبي صلى الله عليه وسلم – وريث أبيه إبراهيم الذي سمّى أمته بالمسلمين من قبل – : أقطع الصحابي الجليل تميماً الداري " وهو أبو رقية تميم بن أوس بن خارجة : كان نصرانياً فأسلم سنة تسع من الهجرة النبوية، وهو أول من أخرج السراج في المسجد، وأقام بفلسطين بعد استشهاد عثمان (رضي الله عنه)، وقد روى النبي صلى الله عليه وسلم عنه قصة المسيح الدجال، وكان تميم عابداً تقياً، وتوفي سنة ٤٠ من الهجرة ".

وإذا كانت فلسطين وقفاً إسلامياً بشكل عام، فإن مدينة الخليل وقف إسلامي بشكل خاص لأحفاد تميم الداري (رضي الله عنه) حتى قيام الساعة.

هذا، وتمتاز مدينة خليل الرحمن على مدار التاريخ الإسلامي بكثرة مساجدها وزواياها ومدارسها الدينية، وكثرة المنتسبين إليها، وكثرة علمائها وزوّارها، وما من عالم كتب عن بيت المقدس إلا وكتب عن جارتها الخليل إلى حد كبير.

مغارة إبراهيم

اشترى إبراهيم (عليه السلام) من عفرون الحثّي كهفاً بأربعمائة درهم فضة كمكان لدفن جميع ذريته، وفي رواية بأن ملك الكنعانيين أهداه إياها دون مقابل، وبالفعل دفن في هذا الغار : إبراهيم وزوجه ساره، وإسحاق وزوجة رفقة، ويعقوب وزوجه لائقة، ويقال : (وهذا بعيد جداً !! لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يدفنون حيث ماتوا) : بأن على مرمى حجر من قبورهم دفن يوسف الصديق الذي نقل رفاته من مصر إلى الخليل !

وقد بنى أولاد يعقوب – وقيل : بل الأسباط – حائطاً حول المغارة، ووضعوا علامات القبور في كل موضع، وكتبوا على كل قبر اسم صاحبه، وأغلقوا باب الكهف، ثم بنوا عليهم سوراً عظيماً . ويقال : بأن باني السور هو سليمان بن داود (عليهما السلام). وقام بتجديده : هيرودتس الذي ولد المسيح (عليه السلام) في زمنه.

وفي القرن الرابع الهجري تم بناء المسجد فوق الغار، وقام الخلفاء العباسيون والفاطميون بتعميره وتجديده وصيانته . وقد اتخذ الصليبيون خلال احتلالهم للشام من المسجد كنيسة وسمّوها : سانت إبراهيم (أي القدّيس إبراهيم)، ولكن البطل صلاح الدين الأيوبي أعاد المسجد كما كان، ونقل إليه المنبر الذي صنعه للحاكم الفاطمي : بدر الجمالي لمشهد رأس الحسين بن علي في مدينة عسقلان، ولا يزال هذا المنبر العاجي التاريخي الجميل في المسجد الإبراهيمي حتى اليوم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه : اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٣١ ما ملخصه :

(.. فينبغي أن تراعى تلك المحلّة وأن تحترم وأن تبجّل وأن تجل أن يداس في أرجائها، خشية أن يكون قبر الخليل (عليه السلام) أو أحد أولاده تحتهـــا ... أما الصلاة عند القبور – مطلقاً – أو اتخاذها مساجد أو أبعاد المساجد عليها، فقد تواترت النصوص عن النبي (صلى الله عليه وسلم) بالنهي عن ذلـــك . فهـذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والملوك وغيرهم يتعيّـن إزالتهـا بهدم أو بغيره، وتكره الصلاة فيها من غير خلاف! وقد كانت البنية التي علـــى قبر إبراهيم (عليه السلام) مسدودة لا يدخل إليها إلى حدود المائة الرابعة، فقيل : إن بعض النسوة المتصلات بالخلفاء رأت في ذلك مناماً، فنقبت لذلك! وقيل : إن النصارى حينما استولوا على هذه النواحي نقبوا ذلك، ثم ترك ذلك مسجداً بعـــد الفتوح المتأخرة! وكان أهل الفضل من شيوخنا، لا يصلّون في مجموع تلك البنية وينهون أصحابهم عن الصلاة فيها : إتباعاً لأمر رسول الله (صلى اللـــه عليـه وسلم) واتقاء لمعصيته !

إسلامية مدينة الخليل

تمتاز مدينة خليل الرحمن بعدم وجود غير المسلمين فيها، وبعـــدم وجـود خمّارات أو دور للسينما والملاهي فيها – قبل الاحتلال اليهودي الأخير لهـــا –

كما شهد بذلك العلاّمة أبو الحسن الندوي في كتابه : (مذكرات سائح في الشرق العربي) حينما زارها عام ١٩٥١م . إن مدينة الخليل فلسطينية عربية إســـلامية منذ أقدم العصور وإلى اليوم، وإن جميع من أقام فيها من أنبياء الله مـــن بنـــي إسرائيل ومن آمن معهم لا علاقة لهم بيهود اليوم لا من قريب ولا مـــن بعيـد، حيث أن الله تعالى أخذ العهد على جميع النبيين (عليهم الصلاة والسلام أجمعين) أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وأن يتبعوه ... قال تعالى : "وإذ أخذ الله

ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لمـــا معكـم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قـــالوا أقررنـــا قـــال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين " [سورة آل عمران آية ٨١] .

إننا معشر المسلمين في الدرّة المغتصبة فلسطين – نرتبط بمدينة الخليل : عقائدياً : حيث إنها مدفن خليل الرحمن إبراهيم، وحيث أنها وقف لذريـــة تميـم الداري إلى الأبد ... ونرتبط بالخليل قومياً : حيث أن سكانها عرب على مـــدار التاريخ القديم منه أو الحديث، ونعتبر أن جنسية المسلم عقيدته، ونعـــتز بحكـم أنبياء الله من بني إسرائيل أكثر من اعتزازنا بحكم أي من الخلفاء المسلمين لها على مدار التاريخ. ونرتبط بالخليل وطنياً : حيث أنها جزء لا يتجزأ من الأرض المباركة المقدسة الطيبة فلسطين : (أرض الإسراء والمعراج).

إن عدوّنا لا يملك مقوّمات البقاء في الخليل بشكل خاص وفـــي فلســطين بشكل عام : حيث إنه لا يملك سوى حق القوة! وهذه القوة العسكرية لن تدوم إلى الأبد، والتاريخ أكبر دليل على ما نقول! أين عاد وشداد وإرم ذات العماد، الـــذي لم يخلق مثلها في البلاد؟! لقد صبّ عليها ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد!!

ولكن مسلمي فلسطين العرب يملكون قوة الحق التي لاتقهر يملكون سلاح : الله أكبر الله أكبر!!

وخلاصة القول : إن مدينة خليل الرحمن إسلامية في الماضي والحاضر والمستقبل : بإذن الله تبارك وتعالى . والحمد لله رب العالمين، وصلى الله عليه وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

الخليل في مخطوطات العرب المسلمين

"محمد هاشم" موسى غوشه
وزارة السيـــاحة والآثـــار

مُقَدِّمَة

تميزت مدينة الخليل عبر تاريخها الطويل باهتمام فائق مـــن المؤرخيـــن العرب والمسلمين الذين أرّخوا لها في مؤلفاتهم، فمنهم من خصّها بكتاب مستقل يبحث في تاريخها وتراثها وفضائلها، ومنهم من ذكرها بإيجاز ضمـــن ســياق المؤلف، وقد ارتبطت الخليل تاريخياً بالقدس الشريف، فقد فضّل عدد واسع مـــن مؤرخي القدس أن يسجّلوا دائماً لمدينة الخليل شيئاً في مؤلفاتهم حتـــى لـــو لـــم تتطرق عناوينها لذكر الخليل صراحة .

وتعاني مخطوطات الخليل من قلة الباحثين المعاصرين الذيـــن أعاروهـــا اهتمامهم، غير أن ذلك لا يعني أنّ هذه المخطوطات تأتي في المرتبة الثانية بعد مخطوطات القدس، بل إنها في معظمها يكمل بعضها بعضاً، وفي حالات أخرى تضيف جديداً لم تعرفه مخطوطات القدس، ولا نـــدري ســـبباً يجعـــل تحقيقهـــا وإخراجها إلى حيّز النور أمراً بطيئاً ..

ونلاحظ أنه في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، لم يكن ارتباط المسجد الإبراهيمي في الخليل بالمسجد الأقصى أقل شأناً من فترات سابقة، فقـــد كـــان للعائلة الأنصارية في القدس التي نالت شرف خدمة المسجد الأقصـــى وســـدانته قروناً متواصلة توارثها أفرادها عبر العصور، دور في تجميع فضـــائل القـــدس والخليل من خلال دليل لزائري الأماكن المقدسة .

ومن أبرز هذه الكتب (المرشد للزائر والدليل في مناسك وزيارة أماكن القـــدس والخليل) للحاج مصطفى الأنصاري، وآخر بـــالعنوان نفســـه للحـــاج حســـين الأنصاري، إضافة لعناوين أخرى حول زيارات القدس والخليل للشيخ إبراهيـــم حسن الأنصاري والشيخ محي الدين الأنصاري وغيرهم، وكان كذلـــك لشـــيوخ

الخليل دور في خدمة تراثها، فقد ألّف الشيخ عارف الشريف كتاباً مهماً يحمل عنوان (روضة الأنس في فضائل الخليل والقدس) اعتمد فيه على كتاب مجير الدين الحنبلي .

فضائل الخليل عليه الصلاة والسلام

ضمن كتاب (فضائل بيت المقدس والخليل عليه الصلاة والسلام وفضائل الشام) للإمام الحافظ أبي المعالي المشرف بن المرجى المقدسي من رجال القرن الخامس الهجري، أفرد المؤلف فصلاً كاملاً للحديث عن فضائل الخليل، ويقع فصل الخليل في خاتمة الكتاب الذي يتكون من أربعة أقسام تشمل مائة وخمسة عشر باباً، حيث أدرج المؤلف خمسة وأربعين رواية تاريخية في فضائل الخليل.

وتتوزع نسخ المخطوط في دور كتب مختلفة، من أبرزها مخطوط توبنغن الذي يحمل الرقم (٢٦) مجاميع، وعنه نسخة خطيّة بدار الكتب المصرية تحمل الرقم (٤٥٤٢) تاريخ، ومن هذه النسخة صورة ورقية عند صاحب المحاضرة تحمل الرقم (٢٧) م.خ، وأخرى مايكروفيلمية عن نسخة توبنغن تحمل الرقم نفسه، في حين تتوزع نسخ أخرى من المخطوط في هارفرد وباريس والقدس لا داعي لتفصيلها في هذا السياق.

كتاب خليل نامه بالتركية

ألّفه ونظمه ونظم عبد الواسع أفندي قاضي أوغلو من رجال أواخر القرن السابع الهجري، وهذا المخطوط عبارة عن منظومة شعرية في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام، ناقصة من أولها تبدأ (... قلم أنك كرامتلو النده – جهانه كتر رجون معجزاتي ...)، وتحتفظ دار الكتب القومية بنسخة نفيسة من المخطوط في مجلد مكسو بقماش بنفسجي اللون، مجدولة بالمداد الأحمر، بقلم نسخ عادي مشكل، تمت كتابتها يوم الثلاثاء أواخر شهر محرم الحرام سنة ٨٥٧هـ في (١٣٦) ورقة.

فضائل مسجد الخليل عليه السلام

ضمن كتاب (إثارة الترغيب والتشويق إلى المساجد الثلاثة، وإلى البيت العتيق) لمؤلفه الشيخ شمس الدين محمد بن اسحق الخوارزمي الحنفي المتوفى سنة ٨٢٧هـ، الذي ينقسم إلى أقسام أربعة، يأتي ذكر فضائل مسجد الخليل عليه السلام في الفصل الرابع، وقد اختصر الكتاب محمد بن أحمد بن محمد الزملكاني الأنصاري الشافعي سنة ٨٣١هـ، ومن المختصر نسخة خطية في مكتبة الأزهر الشريف تحمل الرقم (٩٨٠) تاريخ، وأخرى في مكتبة المتحف البريطاني في لندن تحمل الرقم or 4584 .

مثير الغرام إلى زيارة الخليل عليه الصلاة والسلام

لمؤلفه الشيخ تاج الدين اسحق بن الخطيب برهان الدين بن أحمد بن محمد ابن كامل التدمري الشافعي المتوفى سنة ٨٣٣هـ خطيب الحرم الإبراهيمي في الخليل ويتألف الكتاب من سبعة وعشرين فصلاً يذكر فيها أخبار الأنبياء مثل إبراهيم وإسماعيل، ثم يصف المغارة التي بها قبور الأنبياء وفضل زيارة مقام سيدنا إبراهيم الخليل .

حقق المستشرق الأمريكي تشارلس ماثيوز المخطوط ونشره في المجلد السابع عشر سنة ١٩٣٧م من مجلة الجمعية الاستشراقية لفلسطين التي كانت تصدر في القدس، ومن المخطوط نسخة خطية في دار الكتب القومية تحمل الرقم (١٥١٧) تاريخ، وأخرى في المكتبة البلدية في الإسكندرية تحمل الرقم (١٠٧) تاريخ، وثالثة في برنستون مجموعة يهودا جاريت تحت رقم (٥٩٠)، ونسخة رابعة في مكتبة المتحف العراقي في بغداد تحت رقم (٢١٥٩)، وفي عارف حكمت بالمدينة المنورة تحت الرقم (٣٩٣٧)، وفي باريس ويال ولندن لا مجال لحصرها جميعاً في هذا السياق .

زيارة الخليل عليه السلام

ضمن مخطوط (الروض المغرّس في فضائل البيت المقدس) لمؤلفه عبد الوهاب ابن عمر الحسيني المتوفى سنة ٨٧٥هـ، والذي يشمل سبعة وثلاثين فصلاً، يرد فضل زيارة الخليل في الفصل الخامس و الثلاثين .

وتحتفظ مكتبة الدولة في برلين بنسخة ناقصة من المخطوط المذكور كانت فيما مضى ضمن مجموعة مكتبة توبنغن، في حين تحتفظ مكتبة عارف حكمت بنسخة كاملة من المخطوط تحمل الرقم (٣٨٦٠)، ومنها صورة ورقية في مكتبة المحاضر تحمل الرقم (٣٣) م.خ .

الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل

لمؤلفه قاضي القضاة مجير الدين الحنبلي العليمي المقدسي مؤرخ القدس والخليل، وقد أرّخ المجيري لمدينة الخليل ما لم يؤرخه من قبله أحد، فترك لنا معلومات مهمة جداً عن العمائر المملوكية وغيرها في مدينة الخليل التي ربطها بمدينة القدس .

ولا داعي للإطالة أو الإسهاب في عرض الكتاب، فهو أشهر من أن يعرّف، كما أن زميلاً لنا وآخرين يعكفون منذ مدة على تحقيق نصوصه تحقيقاً علمياً بعد أن بقي حتى يومنا هذا دونما تحقيق .

تاريخ القدس والخليل عليه الصلاة

لمؤلفه الشيخ محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي مولداً المقدسي مسكناً المتوفى سنة ١١٤٧هـ، وهذا المخطوط غير معروف، ذلك أن المؤرخ العسلي لم يورده في قائمة البيبليوغرافيا التي صنفها لمخطوطات فضائل بيت المقدس، كما أن أحداً من المؤرخين المعاصرين لم يذكره كذلك، ويقع هذا المخطوط المهم في ستة فصول، وتتقاسم الخليل وبيت المقدس مضمون الكتاب الذي كتبه صاحبه في مدح أعمال رجب باشا .

لقد رجع إلى الكتاب الدكتور أمين مسعود أبو بكر في رسالة الدكتوراه التي طبعها مؤخراً، غير أنه هو الآخر لم يتعرف على مؤلفه الذي أشار صراحة لنفسه غير مرة ضمن سياق المخطوط واكتفى بعبارة تقول " لمؤلف مجهول"، ومن المخطوط نسخة ورقية في مكتبنا تحمل الرقم (٤٤) م.خ صوّرت عن الأصل المحفوظ في أكسفورد ببريطانيا، ونعمل حالياً على تحقيق نصوص مطوّله من المخطوط ودراستها تمهيداً لنشرها في أقرب فرصة بإذن الله .

لطايف أنس جليل في تحايف القدس والخليل

لمؤلفه الشيخ مصطفى أسعد اللقيمي الدمياطي المتوفى سنة ١١٧٣هـ سبط العلامة ابن غانم المقدسي، وهذا الكتاب هو مختصر (الأنس الجليل) للمجيري و(إتحاف الأخصّا) للشمس السيوطي، وقد عرّج صاحبه على ذكر الجليل معتمداً على ما أورده مجير الدين .

ومن مخطوطات الكتاب نسخة مهمة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحمل الرقم (٥٥٤٥) تاريخ، منها صورة ورقية عند صاحب هذه المحاضرة تحمل الرقم (٣١) م.خ، ونسخ أخرى موزعة في دور كتب مختلفة لا داعي لإحصائها في هذه العجالة .

آثار جبل الخليل مع بعض أوصافه الحالية

ضِمن مسوّدة مخطوط متأخر لمؤلفه نعمان بن عبده بن يوسف بن نقولا القساطلي المتوفى سنة ١٣٣٨هـ، ويشتهر هذا المخطوط أيضاً باسم " مرآة سورية وفلسطين "، وتحظى الخليل في هذا المخطوط غير المكتمل من حيث أجزائه وكونه مسودة غير مبيّضة، بجزء كامل يتصدّر أجزاء الكتاب الخمسة التي وصلنا منها جزءان فقط وبداية الجزء الثالث .

ونحتفظ بنسخة ورقية قيّمة من المخطوط في مكتبتنا تحمل الرقم (١٦) م.خ صوّرت عن الأصل المحفوظ في الخزانة الظاهرية بدمشق، حيث اطلع عدد من الطلبة الزملاء على نصوصه للاستفادة منه في أطروحاتهم للماجستير حول مدينة الخليل .

مختصرات متأخرة للأنس الجليل

مختصر مقدسي بقلم الشيخ محمد أمين الدنف قيّم المكتبة الخالدية في القدس وخاتم الورّاقين في بيت المقدس، اطلعنا عليه في مكتبة المؤرخ فهمي الأنصاري في القدس، فوجدناه مشروعاً لم يكتمل قبل وفاة صاحب المختصر، ولابن الموقع الدمشقي المتوفى في نحو ١٣٢٦هـ مختصر للأنس الجليل يحمل عنوان (الأس الجميل باختصار الأنس الجليل في تاريخ القدس والجليل) .

عناوين أخرى حول فضائل الخليل وتاريخها

ومن أبرز ما تحتضنه دور الكتب المختلفة من مخطوطات حول فضائل خليل الرحمن وتاريخها ووصفها، مخطوطة مصرية مهمة من أدب الرحلات لمؤلف مجهول تحمل عنوان (رحلة إلى فلسطين والقدس ونابلس والخليل)، وأخرى أزهرية لمؤلف مجهول في (فضائل الخليل والقدس ومكة والمدينة)، ومخطوطة أخرى من أستانبول حول (فضائل البلاد الأربعة مكة والمدينة والقدس والخليل)، وثالثة بعنوان (مختصر فضائل مكة والمدينة وبيت المقدس ومسجد إبراهيم الخليل) .

زيارات الخليل ضمن رحلات مقدسية

من أبرز هذه الرحلات حضرة النابلسي الأنسية، حيث قصد في أثنائها زيارة مدينة الخليل، وكذلك خمرة البكري المحسية في رحلته القدسية التي عرّج من خلالها على مدينة الخليل عند زيارته القدس في رحلته الأولى .

إعمار البلدة القديمة في الخليل

خالد فهد القواسمي
المكتب الهندسي

مدينة خليل الرحمن (الخليل)

الموقع والنشأة

تقع مدينة الخليل جنوبي فلسطين، على خط عرض ٣١:٣١ درجة شمالاً، وخط طول ٨:٣٥ درجة شرقاً، وتبعد حوالي خمسة وثلاثين كيلومتراً جنوبي مدينة القدس ضمن السلسلة الجبلية نفسها التي ترتفع ما بين (٨٠٠-١٠٠٠) مترٍ عن سطح البحر.

يبلغ عدد سكان مدينة الخليل حوالي ١٥٠ ألف نسمة منتشرين على مساحة ثلاثين كيلومتراً مربعاً، تشتهر مدينة الخليل : بالزراعة، (وأهم المزروعات : العنب والتين والزيتون والخضار)، والصناعة (وأهم الصناعات: الخزف ودباغة الجلود وصناعة الأحذية والنسيج ومقالع الحجارة ومصانع الرخام وبعض الصناعات التقليدية الخفيفة)، عدا كون مدينة الخليل مركزاً تجارياً هاماً في الضفة الغربية وفلسطين عموماً.

استقرت القبائل الكنعانية في فلسطين " ٤٠٠٠ - ١٥٠٠ق.م" وأنشأت هذه القبائل حضارة بلغت أوجها حوالي " ٢٠٠٠ق.م" وتعود أول إشارة وردت عن مدينة الخليل إلى الحفريات التي جرت في مشهد الأربعين، والتي أسفرت عن اكتشاف العديد من الأرضيات المرصوفة وأوانٍ فخارية وطينية وجبرية تعود إلى فترة ما قبل العصر البرونزي الأول في فلسطين " ٣١٠٠ - ٢٩٠٠ق.م"، حيث كانت هذه المدينة تابعة لحكم الأدوميين.

تعرضت المدينة للعديد من الغزوات : دخول " يوشع " وتدميره المدينة وقد تكرر التدمير والحرق والقتل في أثناء غزو الفرس وإغارتهم على بلادنا سنة ٦١٤ق.م . واحتلال الصليبيين المدينة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، إلى أن جاء القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي في أعقاب انتصاره على

الصليبيين في معركة حطين عام ١١٨٧م وأعاد بناء مدينة الخليل في محيط الحرم الإبراهيمي الشريف .

الدوافع وراء إنشاء المدينة في موقعها :

١. خصوبة الأرض واعتدال المناخ وتوفر العديد من الآبار والعيون والينابيع في محيطها .
٢. موقعها الاستراتيجي كمرصد بين سلاسل جبلية تشرف على ساحل البحر الأبيض المتوسط وغور الأردن .
٣. وجود مقام أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام وأضرحة كل من سيدنا اسحق ويعقوب ويوسف عليهما السلام وزوجاتهم .
٤. موقعها الجغرافي على مفترق طرق القوافل التجارية القادمة من الشام والعراق والمتجهة إلى مصر والحجاز .

أهم المعالم الأثرية في مدينة الخليل

- الحرم الإبراهيمي الشريف ومقامات الأنبياء إبراهيم واسحق ويعقوب وزوجاتهم ومقام سيدنا يوسف عليهم السلام .

مشهد الآبعين الذي يضم آثاراً تعود إلى عهد الكنعانيين ومقر إقامة سيدنا إبراهيم عليه السلام .

- العديد من الزوايا والمقامات والتكايا والقلاع والمدارس التي تعود إلى العهد الأيوبي والمملوكي والعثماني .
- البلدة القديمة المحيطة بالحرم الإبراهيمي الشريف الذي يعود تاريخها إلى العهد الأيوبي والمملوكي.

التطور العمراني في مدينة الخليل

تعرضت مدينة الخليل للهدم على يد الصليبيين إبان احتلالهم للمدينة فلم يبق من عناصر العمارة الإسلامية من العهد الأموي والعباسي إلا ما هو موجود في الحرم الإبراهيمي الشريف حيث بنيت القباب ضمن الكور الموجودة في السقف الحالي فوق أضرحة الأنبياء أما في العهد الأيوبي فامتازت العمارة في مدينة الخليل بكونها دفاعية فقلل عدد المداخل لإحكام السيطرة على المباني وأصبحت المباني أقل مساحة كما قلت مساحة البناء. ويتكون المسكن من إيوان أو فناء يتوسطه، ومن حوله الغرف المختلفة. في أحيان كثيرة يكون الفناء مسقوفاً بقبة. وقد سقفت الفراغات بوساطة قباب أو عقود مختلفة الأشكال، وقد استخدمت الأقواس على اختلاف أنواعها في الواجهات الحجرية الداخلية والخارجية.

أما في العهد المملوكي وبعد هزيمة المغول أوليت مدينة الخليل عناية خاصة، حيث أقيم الكثير من المباني العامة كالرباط لخدمة المجاورين والزائرين للحرم الإبراهيمي الشريف، وبنيت المدارس والبيماء ستانات التكايا والوكالات والخانات حيث ميز هذا العصر إقامة العديد من أنماط المباني العامة.

روعيت القيم الإسلامية في المسقط الأفقي الخاص بالمساكن وذلك بتوفير الخصوصية للمسكن والانفتاح للداخل حول الصحن (الحوش)، واستخدامها المداخل المنكسرة واحتواء الطابق الأرضي على المدخل وغرف الخدمة والقاعة، أما الطوابق العليا فتحتوي على غرف النوم والمرافق الأخرى، واستخدام التدرج في الفراغات من الغرف إلى القاعات إلى أفناء، وقد ساعد المدخل على تأكيد الانتقال من الفراغ الخارجي إلى الشارع إلى الفراغ الداخلي للمسكن.

لم تحظ الخليل بالعناية الكافية في العصر العثماني حيث استمر النمط المملوكي مع بعض التغيرات التي تأثرت بوضع المدينة الاقتصادي والاجتماعي.

منذ بداية هذا الفن ودخول مواد بناء جديدة للمنطقة أخذت العمارة بالانتقال التدريجي إلى العمارة الحديثة وذلك في محيط البلدة القديمة .

يتأثر المظهر التخطيطي لهذه المدينة بالتكوينات المعمارية للمباني، وما تحويه هذه التكوينات من فراغات، وإلى ما يظهر فيها من العناصر المعمارية المختلفة، مثل المآذن والقباب والساحات والأفنية الداخلية والطرق المغطاة، وغيرها من عناصر هذه المدينة الطبيعية والمناخية، وكذلك الخصائص الاقتصادية والاجتماعية لسكان هذه المدينة.

مواد البناء وطرق إنشاء مباني البلدة القديمة

استخدمت مواد البناء من البيئة المحيطة وأهمها الحجارة الخام والمهذبة والجير المصنع محلياً (كمادة رابطة أساسية) والتراب والفخار والخشب والقش...

إن جميع مباني البلدة غير هيكلية حيث استخدمت الجدران الداخلية والخارجية العريضة كجدران حاملة، التي تنتهي بالأساسات في الأسفل حيث ترتكز عليها جدران الطوابق العليا وعقود المبنى .

واستخدم أسلوب العقود العربية ذات الأقواس المتضاربة والبرميلية والقباب، التي ترتكز على أكتاف (ركب) في الأركان وداخل الجدران، وصممت الفتحات أما بأقواس رومانسية أو فارسية أو ثلثية وخلافه، أو فتحات مستقيمة باستخدام الفموط، أو بأسلوب جمع بين هاتين الطريقتين .

عوامل تلف مباني البلدة القديمة

المدينة كائن حيّاً يستمد حياته من حياة ساكنيه، ومن الطبيعي أن تواجه المدينة في حياتها اليومية العديد من المشاكل التي يلزم التعامل معها ووضع الحلول لها أولاً بأول، وأن أهم الأسباب التي تعاني منها المدينة بشكل عام والمباني التاريخية والأثرية بشكل خاص هي مشاكل خاصة وهي مشاكل طبيعية ومشاكل من صنع الإنسان .

المشاكل الطبيعية (مثل القدم : مياه الأمطار، والرطوبة النسبية، والخاصية الشعرية، والرياح الكائنات الدقيقة والحشرات والحيوانات، والزلازل والنباتات والأشجار ...) التي لها الأثر الواضح على المباني، ومن الضروري دراسة هذه الأسباب وتحليلها، ليتم وضع الحلول المناسبة لها من الناحية الإنشائية والعمل على إزالة العامل المسبب، أو وضع حد له باستخدام تقنيات الترميم الخاصة بذلك.

مشاكل من صنع الإنسان (مثل المشاكل الناتجة عن الأوضاع الاجتماعية، المشاكل التقنية، الأوضاع الاقتصادية، الأوضاع السياسية).

المشاكل الاجتماعية : كهجرة الكثيرين من السكان الأصليين هذه الأحياء القديمة، للسكن خارج هذه المنطقة بسبب ازدياد حجم أفراد الأسر وعددها، وحلت محلهم فئات اجتماعية أقل في المستوى الثقافي، والاقتصادي، والاجتماعي وبذلك بدأت بذرة التخلف في هذه الأحياء، وقد ازدادت حدة تخلف هذه الأحياء مع عدم إدخال شبكات الصرف الصحي والمياه والكهرباء بشكل علمي ومدروس.

أما المشاكل التقنية فتتمثل في أن غالبية ما تم حتى عام ١٩٩٦م من أعمال ترميم داخل هذه المنطقة كان بشكل فردي دون اللجوء لأصحاب الخبرة في هذا المجال وبالتالي تم استخدام أشكال جديدة ومواد جديدة مع عدم مراعاة خصائص المبنى الإنشائية، وقد فشلت حتى الآن أن تكون البديل، فاستخدام المواد المستوردة من خرسانة وكرميد، وغير ذلك ليس فقط باستخدام موارد غير ملائمة للأحوال الجوية، بل كذلك لا يتلاءم ومواد البناء الأصلية، عدا ما تستنزفه من عملة

صعبة مسببة بذلك الكثير من المشاكل الاقتصادية. وتدهور البيئة العمرانية ككل، وما يرتبط بها من سوء حالة المباني والخدمات المرافق العامة، واحتياجها إلى عمليات إعادة دراسة وصيانة.

أما المشكلة الاقتصادية، فتتمثل في انخفاض معدل الإنفاق من قبل الدوائر المختصة على جمع القمامة، ومحاولة تصليح بعض المرافق العامة الموجودة في تلك المناطق (المجاري، التمديدات الصحية والكهربائية) وتمتد هذه المشكلة لتشمل تأثير تدهور البيئة على قطاعات الاقتصاد الأخرى وأخص بالذكر قطاعات الإسكان والتجارة السياحة، حيث تواجه هذه القطاعات عقبات كثيرة فعادة ازدهارها وخصوصاً تنشيط قطاع الإسكان و السياحة في ظل تدهور البيئة العامة للمدينة القديمة على الرغم من توافر العوامل الكفيلة باجتذاب السكان والسائحين .

أما المشكلة السياسية فمنذ أن جاء الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧، أظهر أطماعه وجشعه ليدمر البقية الباقية من الكنوز مستخدماً القوة للاستيلاء على مباني هذه المنطقة وتدميرها وإتلافها وأحكام السيطرة على الأرض وتطويق الشعب العربي الفلسطيني وخنق سبل التنمية وتدمير التراث، ويشكل الهدم والاستباحة والاستيطان أهم الطرق المتبعة لتحقيق ذلك الهدف . كما تم إغلاق معظم مداخل المدينة القديمة وفرض نظام منع التجول على تلك المنطقة وإغلاقها عسكرياً لمدد طويلة كانت تصل في بعض الأحيان إلى الشهر. وقيام المستوطنين اليهود بمهاجمة الأهالي القاطنين في تلك المنطقة ليلاً ودب الرعب في قلوبهم وتفجير خزانات المياه على أسطح تلك المباني أدى إلى إحداث أضرار حسيمة على أسطحها وجدرانها .

دور إعمار البلدة القديمة في حل أزمة الإسكان

إن احتياج الإنسان للمساكن كان على مر العصور ليس فقط للحماية من العوامل الجوية المتقلبة وأخطار الطبيعة المحيطة، بل هو قبل كل شيء مركز تكوين الأسرة الأطفال والمكان الذي يشعر فيه الإنسان بالراحة والاستقرار، ولهذا يمكننا القول إن أهمية المسكن للإنسان تأتي مباشرة في المرتبة الثانية التي تلي المأكل والمشرب .

إن توفير المسكن الملائم أصبح من المهام الصعبة التي تواجه واضعي السياسات في هذه المنطقة وخصوصاً في السلطة الوطنية الفلسطينية .

إن إعمار البلدة القديمة فقد يسهم جزئياً في حل مشكلة السكن في مدينة الخليل وذلك للأسباب التالية:

١. انخفاض تكلفة ترميم الشقة الواحدة مقارنة ببناء شقة سكنية جديدة .
٢. ارتفاع أسعار الأراضي المخصصة للبناء في المنطقة وشحها، مما يؤدي في تكلفة الإسكان في شقق جديدة .
٣. توفر بنية تحتية في البلدة القديمة (شبكات كهرباء، مياه شرب، صرف صحي، طرق، محلات تجارية، أسواق، وخلافه) وإن كانت بحاجة لعمليات صيانة كبيرة .
٤. الإسكان يسهم في الحفاظ على القيم المعمارية والأثرية والتاريخية لهذه المباني ويسهم في حل مشكلة تفتت ملكيتها .
٥. توفير أماكن سكن في محيط الحرم الإبراهيمي الشريف وخاصة للراغبين في العبادة والتقرب لله سبحانه وتعالى .
٦. اتساع حجم الشقق والفراغات والغرف في البلدة القديمة وخاصة أن الأسر الفلسطينية كثيرة الأولاد.

٧. عودة الحياة الطبيعية إلى جزء هام في وسط المدينة تعرض بشكل مستمر لإجراءات إسرائيلية هادفة إلى خنقه وتفريغه .

إعمار البلدة القديمة ضرورة وطنية ملحة

البلدة القديمة جزء عزيز من مدينة الخليل على أهلها وعلى الشعب الفلسطيني بما تمثله من تواصل بين الماضي والحاضر والكنوز المعمارية التاريخية المؤصلة فيها، وقد واجهت تحدي المستوطنين اليهود الراغبين في استيطانها وتحويلها إلى حي يهودي مما دفع بالعديد من المؤسسات الوطنية في فلسطين إبان الاحتلال الإسرائيلي إلى التصدي لهذه المخططات، فكانت الفكرة الإسرائيلية قائمة على تفريغ البلدة القديمة من سكانها ومن ثم قضمها شيئاً فشيئاً، وكانت أولى هذه المحاولات الفلسطينية للدفاع عنها من قبل مجلس بلدية الخليل من الأعوام ١٩٧٦-١٩٨٢، وقاد المجلس البلدي آنذاك الجماهير الفلسطينية لمواجهة هذا الخطر، حيث قامت البلدية بفعاليات عديدة تمثلت في ترميم الأماكن العامة والقناطر وواجهات المباني المطلة على الشوارع العامة وإزالة الأخطار الموجودة، وقامت بتحسين البنية التحتية وخاصة شبكة الكهرباء وشبكة مياه الشرب وشبكات الصرف الصحي وشجعت العائلات وخاصة الفقيرة على البقاء في البلدة القديمة عن طريق إعفائهم من قسم من فواتير المياه والكهرباء التي يستخدمونها.

بعد حل المجلس البلدي من قبل قوات الاحتلال عام ١٩٨٢م حاولت العديد من المؤسسات الوطنية المساهمة في الإعمار، إلا أن معظم هذا العمل تركز على توفير تمويل لحالات ترميم فردية، تشجيعاً لها في الترميم والصمود أمام المستوطنين في البلدة القديمة، أو افتتاح عيادة أو مركز لجمعية، أو غيرها من الأنشطة، ولعل أهم الأعمال في هذا المضمار ما قامت به رابطة الجامعيين في محافظة الخليل حيث بدأت بعمل دراسات تخطيطية للمدينة القديمة ومبانيها، وقد

أسست مكتباً أطلق عليه مكتب الترميم، زود بطاقم من المهندسين والفنيين المدنيين والمعماريين، وكذلك الأجهزة والتمويل اللازم، وقد قامت بأعمال كثيرة وأهمها :

١. دراسة ميدانية للسكان والمباني المأهولة وغير المأهولة .
٢. دراسة تحليلية شاملة لمواد البناء وطرق إنشاء المباني القديمة .
٣. رفع العديد من المباني والشوارع ووضع تصور لعمليات الترميم الخاصة بها.
٤. عملية تحليل للمدينة القديمة من ناحية عمرانية ومعمارية وعمل مخططات تطويرية للمنطقة .

إلا أن الرابطة لم تنتقل فعلياً نحو الترميم بسبب عدم وجود التمويل اللازم، مع أن الدراسة كانت تتم بتمويل ذاتي من ميزانية مؤسسة رابطة الجامعيين.

فترة جديدة وبعد توقيع اتفاقية السلام وعودة السلطة الوطنية وعودة مجلس بلدية الخليل المنتخب إلى موقعه، عملت كل من السلطة الوطنية من خلال وزارة الأوقاف وكذلك البلدية على إعمار البلدة القديمة .

قامت وزارة الأوقاف بعمليات ترميم تركزت على المساكن المأهولة وعلى القناطر والأحواش وكان العمل يتم بطريقة المصانعة أساساً، أما بلدية الخليل فقد ركزت على ترميم الأسواق، وإحدى الحارات وعلى عمل الدراسات حول البنية التحتية في البلدة القديمة وقد عملت بطريقة التلزيم .

ومع تزايد التحديات التي تواجهها مدينة الخليل على الصعيد السياسي والرغبة الإسرائيلية المحمومة في توسيع الاستيطان داخل البلدة القديمة، وبقرار من سيادة الرئيس ياسر عرفات تم تشكيل لجنة إعمار الخليل برئاسة معالي وزير النقل والمواصلات، وعضوية وزير الشباب والرياضة، ووكيل وزارة الداخلية،

ومساعد وكيل وزارة الأوقاف، ورئيس بلدية الخليل، وأعضاء من المجلس التشريعي الفلسطيني، وممثلين عن وزارات الحكم المحلي والأشغال العامة والتربية والتعليم، ورابطة الجامعيين ولجنة المؤسسات بهدف توسيع عملية الإعمار وتسريعها.

تجربة لجنة إعمار الخليل في ترميم المباني القديمة :

شرعت لجنة إعمار الخليل ومنذ بداية تأسيسها في تشكيل العديد من اللجان المساندة لعملية الإعمار كاللجنة القانونية، واللجنة المالية، واللجنة الإعلامية، واللجنة الأمنية ولجنة الإسكان ولجنة العطاءات ولجنة المشتريات وغيرها.

وشكلت اللجنة مكتباً هندسياً ليكون الذراع المنفذ لقرارات لجنة الإعمار، حيث تم تعيين مهندسين مختصين في مجال الإعمار وانتدب فنيون ومهندسون من مؤسسات الخليل المختلفة ومن لجنة إعمار الأقصى المبارك وتم تشكيل فريق فني إداري متكامل للعمل، وقام المكتب الهندسي بإعداد خطة ترميم تضمنت تحديد المنطقة الجغرافية للعمل، وتحديد أولويات العمل، ووضع المواصفات اللازمة لأعمال الترميم كافة وكيفية تنفيذها .

ترتكز فكرة ترميم مباني البلدة القديمة وفق تصور المكتب الهندسي إلى عدة أسس أهمها :

١. إعادة التقسيم الوظيفي للمبنى من الداخل، بحيث يقسم إلى شقق سكنية منفصلة تتوافر فيها الخدمات كافة، بما يتلاءم مع الحياة العصرية مع الحفاظ على طابع المبنى القديم .
٢. المحافظ على العناصر المعمارية للمبنى وترميم التالف منها، باستخدام مواد بناء كالمستخدمة سابقاً في عمليات البناء مع تطعيمها بمواد جديدة لا تشكل ضرراً عليها .

٣. حل المشاكل الإنشائية في المبنى وتقوية عقدانه وجدرانه وأساساته إن لزم، باستخدام مواد إنشائية حديثة، ولكن بشكل لا يسئ إلى أصالة المبنى ورونقه.
٤. حل مشاكل تسرب المياه إلى داخل المبنى، واستخدام مواد بناء تسمح للرطوبة الداخلية في المبنى بالخروج من جدرانه.
٥. حل مشكلة الملكية في المباني المرممة عن طريق استئجارها إما من قبل لجنة الإعمار أو السكان، وذلك من المالكين للمبنى وتوزيع الأجرة عليهم حسب حصصهم الإرثية.

قامت لجنة إعمار الخليل بتقاسم الأدوار مع بلدية الخليل، بحيث تتولى لجنة الإعمار ترميم مباني البلدة القديمة وإسكان المواطنين فيها، في حين تقوم بلدية الخليل بترميم البنية التحتية للبلدة القديمة وتحديثها، وإعادة تخطيط المناطق المحيطة بها وتطويرها.

إن الدروس المستفادة من التجارب السابقة في إعمار البلدة القديمة هي الأساس في بدايات عمل لجنة الإعمار، فقد حاولت اللجنة العمل مع المتعهدين بطريقة التلزيم وبأسعار موحدة لكل بند من بنود الأعمال إلا أن هذا لم ينجح وذلك بسبب :

١- اختلاف المهارات لدى عمال الترميم .
٢- اختلاف المواقع وزيادة التكلفة من موقع لموقع بسبب عمليات النقل المكلفة .
٣- الاختلاف في المشاكل الإنشائية من مبنى إلى آخر .
٤- عدم القدرة على تحديد أسعار محددة ودقيقة (الفرق شاسع بين ما تطرحه اللجنة وما يطلبه الفنيون)

ودعا هذه اللجنة إلى العمل بطريقة المناقصات بالظرف المختوم، حيث كانت البدايات صعبة بسبب إحجام المتعهدين عن العمل بسبب ضعف الخبرة الفنية في هذا المجال، والتخوف من الأوضاع الأمنية والسياسية في البلدة القديمة، إلا أن الدور الذي مارسته لجنة الإعمار في تشجيع المتعهدين على العمل، والإعفاءات الضريبية الممنوحة لهم، ساهم في دخولهم بقوة إلى هذا المجال .

وقد طرحت لجنة الإعمار سبع مجموعات من العطاءات تضمنت ما مجموعه (٧١) مبنى حوالي (١٧٧) شقة بتكلفة إجمالية تبلغ مليونين وخمسمائة ألف دولا أمريكي. بالإضافة إلى قيام لجنة الإعمار بالعديد من الأعمال الإضافية مثل تركيب أبواب وشبابيك لحوالي (١٠٠) شقة سكنية وأعمال صيانة وترميم جزئية لـ (١٩) منزلاً و(١٩) محلاً تجارياً، إن مصدر التمويل الوحيد حتى الآن هو السلطة الوطنية الفلسطينية إلا أن اللجنة سعت ولا زالت تسعى من أجل تأمين مصادر الدعم والتمويل، لعمليات الإعمار فقدمت دراسات إلى : بنك التنمية الإسلامي، الدول المانحة، مؤسسة التعاون في جنيف، إلا أن اللجنة لم تتلق حتى الآن أية مساعدة من جهات خارجية مانحة.

تتمتع حالياً لجنة إعمار الخليل بمصداقية عالية ويعود ذلك إلى أهمية عمل اللجنة على العديد من المستويات :

فعلى المستوى السياسي، إن ما تقوم به لجنة إعمار الخليل سيحافظ على التفوق النسبي في عدد السكان العرب نسبة إلى المستوطنين اليهود، وهذا سيدعم مطالب المفاوض الفلسطيني في الحل النهائي بالنسبة لمدينة الخليل وإنهاء الاستيطان اليهودي فيها، فضلاً عن أنه سوف يقضي على الأفكار التوسعية الموجودة لدى المستوطنين، فلا مكان للتوسع والاستيطان داخل البلدة القديمة.

وعلى المستوى الاقتصادي، إن ما تقوم به لجنة الإعمار ساهم بشكل كبير في حل أزمة البطالة التي تعاني منها محافظة الخليل خاصة، حيث إنه وفر ما يقل عن (٣٠٠) فرصة عمل للعمال إضافة إلى الكوادر الفنية التابعة للمتعهدين، علماً بأن

غالبية الترميم هي أعمال بحاجة إلى عمالة كبيرة وتمثل أجرة العمال نسبة لا تقل عن ٦٠٪ من قيمة تنفيذ هذه الأعمال، هذا بالإضافة إلى إحياء منطقة البلدة القديمة اقتصادياً، عن طريق زيادة النشاط السكاني، فيها وازدياد حركة العمال والنقل منها وإليها، فضلاً عن كون الإعمار يوفر لمدينة الخليل مركزاً سياحياً هاماً يجلب السياحة الخارجية إلى تلك المنطقة .

وعلى الصعيد الاجتماعي، يساهم عمل اللجنة في حل أزمة السكن المتفاقمة في مدينة الخليل عن طريق تأمين مساكن في البيوت المرممة، ورفع مستوى الخدمات المقدمة للمواطنين هناك، وتنظيم المنطقة المحيطة بالبلدة القديمة من النواحي كافة.

وعلى الصعيد التاريخي، فإن لجنة الإعمار تساهم وبشكل مباشر في المحافظة على الطابع القديم للبلدة القديمة ونقله بوضع آمن للأجيال القادمة، وإظهار الحضارة والفن لدى من سبق من المسلمين في هذه المدينة للعالم أجمع.

إن عمل لجنة الإعمار لا يتصف بالسهولة في الترميم وذلك للمعوقات التالية :

١- الاحتلال الإسرائيلي وإجراءاته التعسفية بحق لجنة الإعمار وعملها، وآخر هذه الإجراءات :

الأمر العسكري رقم (٩٧/١) الذي يحظر بموجبه ترميم ٢٢ مبنى ملاصقاً للبؤر الاستيطانية في البلدة القديمة بدواعي الحفاظ على أمن المستوطنين، وما لاقاه العمال الفنيين من إجراءات للحد من العمل فعلى سبيل المثال تم توفيق العمل في مواقع مختلفة (١٠٨) مرات واحتجز عمال عددهم (٤١٦) في تلك المرات . ولا تزال الإجراءات الإسرائيلية متواصلة حتى هذا اليوم ومنها أيضاً عدم السماح بإدخال مواد البناء من الشوارع الرئيسية (قرب الحرم الإبراهيمي الشريف) .

٢- الإدارة والمالية :

إن حجم العمل الذي تعمل به لجنة الإعمار، يخلق صعوبة وتحدياً كبيراً أمامها، وذلك أن الممول الوحيد للجنة حتى الآن هو السلطة الوطنية الفلسطينية بكل ما تعانيه من ضائقة مالية، وأن معدل ما تصرفه اللجنة شهرياً يصل إلى ما بين ٣٠٠ - ٤٠٠ ألف دولار أمريكي. إن عدم انتظام وصول الدفعات يسبب إرباكاً شديداً وأحياناً تأخير مواعيد التسليم من المتعهدين ويلحق ضرراً بمصداقية اللجنة وأهدافها.

أما على المستوى الإداري فإن الإجراءات الإسرائيلية تسبب ضرراً للمتعهدين تضطر اللجنة في النهاية إلى تعوضيهم عنها خاصة حالات اعتقال العمال لأيام عديدة، بالإضافة إلى إتلاف المواد وتأخير العمل، كما أن تنوع العمل وتشعبه يخلق صعوبة إدارية أمام المكتب الهندسي من حيث زيادة حجم العمل عن طاقة طاقمه الفني مع ملاحظة عدم رغبة اللجنة في التوظيف بشكل واسع.

٣- المعوقات الاجتماعية واحتياجات السكان :

تواجه لجنة الإعمار مشكلة كبيرة في الترميم تعود إلى تفتيت ملكية المباني فعند تقديم مواطن طلباً لترميم منزله يطلب منه أن يقدم إثباتاً بالملكية، وتبين من ذلك أن المبنى مملوك لمجموعة ورثة تتعدى المئة في بعض الحالات مما يخلق إرباكاً أمام اللجنة في حل موضوع التصرف بالمبنى بعد إنجاز إعماره، وتلجأ اللجنة في معظم هذه الحالات إلى استئجار المبنى من أصحاب الورشة ثم تقوم هي بتأجيره، وتقسم عليهم الإيجار بحسب حصتهم الإرثية.

وتواجه اللجنة صعوبات مع الأهالي في موضوع ماهية الأعمال اللازم إنجازها وخاصة في المنازل المأهولة حيث يرغب المواطنون أحياناً بإحداث تغييرات في المنازل تتنافى مع قواعد الترميم المتبعة، مما يخلق إشكاليات عديدة قد تضطر اللجنة إلى التوقف عن العمل أحياناً في تلك المواقع.

٤- المعوقات الفنية :

إن نقص الكادر الفني المختص في موضوع الترميم، هو من أهم العقبات الفنية أمام عمل اللجنة، وذلك لضعف التجربة المحلية في هذا المضمار فيضطر المشرفون على العمل أحياناً، إلى تدريب العمال على إنجاز الأعمال لعدم معرفتهم بأصول إنجازها، كما يتأثر العمل بسبب عدم وجود مختبرات خاصة بفحوص الترميم لدى اللجنة مما يزيد في العبء على المشرفين في المراقبة.

خـاتمـــة

إن ما تقوم به لجنة الإعمار بحاجة إلى تقييم من الناحية الفنية، وإننا ندعو الخبراء العرب والأجانب كافة لزيارة مدينة الخليل، والإطلاع على ما يتم هناك، وتقديم المشورات الفنية وتبادل الخبرة في الكادر الفني العامل هناك في الترميم.

إن الخليل بكل ما تمثله من أصالة فـــي وجـدان الشـعب الفلسـطيني، والضمير العالمي جديرة بأن تسجل بلدتها القديمة في ســجل الـتراث العـالمي للمحافظة عليها، وإننا ندعو إلى مساندة لجنة إعمار الخليل في هذا الموضوع.

إن الإجراءات الإسرائيلية الجائرة بحق البلدة القديمة في الخليـل تتطلـب الشجب والإدانة ودعوة الأسرة الدولية إلى التصدي بحزم لهذه السياسات حفاظـاً على التراث الإسلامي فيها، ولأن إعمار الخليل هو مصلحة عربية إسلامية فإننا ندعو إلى توحيد الجهود لتوفير مصادر الدعم المالي لإنجاز الأعمال في الخليـل وبأقصى سرعة ممكنة.

إن النقص الحاد في الخبرات الفنية والعملية في موضوع الترميم يستدعي إدخال هذا الموضوع في المناهج الدراسية لكليات الهندسة المدنية والعمارة فـــي الجامعات العربية، وعقد دورات تخصيصية للمهندسين المعنيين بهذا الموضـــوع لرفع كفاءتهم.

تشجيع المستثمرين العرب على الاستثمار السياحي (الديني) فـــي البلـدة القديمة لما تحتويه من معالم دينية وتاريخية وعمرانية هامة.

الاعتبارات الجغرافية للاستيطان اليهودي في القدس والخليل

د. عزيـــز الدويـك
قســـم الجغرافيـــة
جامعة النجاح الوطنية

مُقدّمة:

تنتشر المستعمرات الإسرائيلية في كل أنحاء الضفة الفلسطينية المحتلـــة، فهي تتوزع جغرافياً في وادي الأردن وسفوح الجبال الشرقية منهـــا والغربيـة، وفوق ظهور المحدبات الالتوائية التي تشكل جميعاً أبرز معالم تضاريس الضفة الغربية. كما أن حملة الاستيطان المحسوسة التي تتصاعد وتيرتها في هذه الأيام تأخذ منحى جديداً يتكاثف من خلاله بناء المستعمرات اليهودية في كل من القدس والخليل خاصة وبالقرب من مراكز التجمعات السكانية الفلسطينية عامة.

إن سعة انتشار المستعمرات الاستيطانية وتسارع بنائها وجلب المهاجرين من المستوطنين إليها ليستلزم دراستها دراسة جغرافية تبرز الواقـــع الجغرافـــي للاستيطان، وأهم الاعتبـــارات الجغرافيـــة Geographical Considerations المتعلقة بمواقع Locations ومواضع Sites/Situations هذه المستعمرات .

والجغرافية في هذا المجال أداة هامة تلقي الضوء على التوزيع الجغرافي لهذه المستعمرات والأسباب الكامنة وراء هذا التوزيع والأهداف الخاصة المتعلقة بصانع القرار الإسرائيلي .

أهداف الدراسة

* تتلخص أهداف هذه الدراسة في مجموعة من الأسئلة أهمها :

(١) هل كان اختيار مواقع ومواضع المستعمرات الإسرائيلية في الضفة الفلسطينية عشوائياً، شبه عشوائي، أو منظماً ؟

(٢) ما هي المفاهيم التي مهدت من خلالها الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة لتصاعد وتيرة الهجمة الاستيطانية في الضفة ؟

(٣) ما هي الاعتبارات الجغرافية لصانع القرار الإسرائيلي Decision Maker والمتعلقة ببناء المستعمرات الاستيطانية حيث هي الآن ؟

أدبيات العدوان الاستيطاني الإسرائيلي

نظراً للترابط الواضح بين أدبيات الاستيطان والاعتبارات الجغرافية له، فقد أثرنا البدء بدراسة مجموعة من الأدبيات نلخصها فيما يلي :

أولاً : مفهوم الإجماع القومي اليهودي Jewish National Consensus

وهو مفهوم تستخدمه إسرائيل لمواجهة مفهوم إجماع الرأي العام العالمي والإجماع الدولي وقرارات هيئة الأمم المتحدة . وقد هدف صانع القرار الإسرائيلي من خلاله جعل قضية الاستيطان المستنكرة عالمياً، قضية إسرائيلية داخلية تخضع لاستطلاعات الرأي العام الإسرائيلي، وحيث أن إسرائيل "كما تزعم" دولة "ديمقراطية" فإن صانع القرار فيها لا يملك حق مخالفة الإجماع الشعبي فيها، لذلك اتخذت نتائج استطلاعات الرأي الشعبي وسيلة فعالة للدعاية لهذا الإجماع . ومن هنا فإنه إن وجدت أغلبية في إسرائيل تريد المزيد من بناء المستعمرات فما على الحكومة " الديمقراطية " هناك إلا أن تنفذ هذه الإرادة ضاربة عرض الحائط بالرأي العام العالمي وما يطلق عليه في العرف السياسي اسم الإجماع الدولي.

ثانياً : مفهوم تجميد النشاط الاستيطاني Freezing on Settlements Activities

أطلق هذا المفهوم تمهيداً للقاءات المؤتمر الدولي في مدريد عام ١٩٩٢م. وقد فهم العالم منه أن نية إسرائيل تتجه إلى وقف كافة النشاطات الاستيطانية في الضفة الغربية وقطاع غزة. إلا أن شيئاً من ذلك لم يحدث ولو ليوم واحد، حيث برهنت الممارسات الإسرائيلية على أن فهم إسرائيل للتجميد يعني دوام التمديد والتوسع Expansion ، ذلك أن الماء إذا جمد تمدد وضاقت به آنيته ذرعاً فانطلق يسيل رقراقاً أو صلباً في كل اتجاه، وهكذا كان استمرار الاستيطان وتوسعه وتمدده باتجاه الطرق الرئيسة والمواقع الاستراتيجية على حساب بقية أرض فلسطين وأبناء شعبها الذين تحول وجودهم إلى كنتونات مطوقة بالمستعمرات من جهة ومعزولة عن بعضها البعض من جهة أخرى .

ثالثاً : مفهوم النمو الطبيعي Natural Growth

وهو مفهوم استخدمه نتنياهو (رئيس وزراء إسرائيل الحالي) مشبهاً المستعمرات الاستيطانية الإسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة بالكائن الحي ، فالطفل بعد أن يولد لا بد له أن ينمو ولا يمكن لأحد أن يوقف نموه، أو أن يجادل فيه أو أن يعترض عليه . وهكذا – ومن جهة نظر إسرائيل – تتوزع وتتوسع كافة البؤر والمراكز الاستيطانية على حساب حقوق الآخرين وأرضهم ومصالحهم الحياتية الأساسية.

رابعاً : مفهوم هلامية الحدود Undefined Borders

منذ قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ وإلى الآن ترفض إسرائيل ممثلة في أحزابها المختلفة وضع تصور نهائي لحدودها مما دعا الرئيس الأمريكي نيكسون إلى القول مخاطباً إسرائيل (إنكم تريدون مني أن أضمن لكم حدودكم، فأية حدود تريدون مني أن أضمن وبعبارته :

(You want me to guarantee your borders, which borders you want me to guarantee)

وإذا كان هذا هو شأن الحدود الخارجية، التي لم تحدد لأن قادة إسرائيل يعتقدون بضرورة قيام دولة إسرائيل الكبرى (من النيل إلى الفرات)، كذلك هو شأن حدود مدينة القدس التي يعتبرونها عاصمتهم " الأبدية ". وقد كانت محاولة طمس معالم خط الهدنة أو ما يعرف بالخط الأخضر مؤشراً واضحاً على هذا الاتجاه . ذلك أن إسرائيل قد عمدت منذ احتلالها للضفة الغربية عامة والقدس خاصة عام ١٩٦٧ على التوسع شرقاً في محاولة منها لزحزحة هذا الخط مسافة ١٥ – ٢٠كم وقد تم ذلك من خلال بناء ١٣ مستعمرة استيطانية تقع على جانبي خط الهدنة منها ٣ مستعمرات في لواء القدس.

أما بخصوص حدود مدينة القدس الكبرى فقد توسعت بلا ضوابط منذ احتلالها حين أعلنت إسرائيل عن ضمها بتاريخ ٦٧/٦/٢٨، ثم قامت بمصادرة ١١٦ دونم من أحياء البلدة القديمة، كما تمت توسعة الحي اليهودي من خمسة دونمات إلى ١٣ دونماً، كما صادرت ٣٣٤٥ دونماً من أراضي الشيخ جراح ووادي الجوز، كما أقامت ١٠ مستعمرات فيها خلال فترة السبعينات. أما اليوم فتمتد حدود هذه المدينة المقدسة ما بين موقع الخان الأحمر في الغور شرقاً وشمال رام الله شمالاً وحتى عصيون جنوباً أي ما مساحته ٨٤كم٢.

خامساً : مفهوم أقطاب النمو **Growth Poles**

وهو مفهوم تبنته إسرائيل منذ قيامها حيث تقوم المنظمات الاستيطانية وكذلك مؤسسات الدولة بالسيطرة على بؤر من الأرض الفلسطينية تقيم عليها بؤر وركائز استيطانية ثم تقوم بتوسيعها في كل اتجاه. ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما فعلته إسرائيل في مدينة الخليل حيث سيطرت في فترات مختلفة على :

أ. سوق الخضار في المدينة
ب. محطة الباصات المركزية
جـ. مدرسة أسامة
د. تل الرميدة (الذي شرعت إسرائيل بالبناء فيه الآن).
هـ. الدبوريا
و. المقبرة اليهودية
ز . وكذلك أحكمت السيطرة على الغار الشريف داخل الحرم الإبراهيمي الشريف .

ولقد تحول كل موقع من هذه المواقع السبعة إلى رقعة استيطانية تمتد في كل اتجاه، وبدأت المطالبة بتحقيق مفهوم التواصل الجغرافي بين ما أصبح يسمى " بالأحياء اليهودية " في المدينة. وعليه يمكن اختصار محاولة تهويد مدينة الخليل في مفهومين أولهما : بعثرة أقطاب النمو، وثانيهما : توحيد وتوصيل هذه الأقطاب مع بعضها .

سادساً : مفهوم المجال الحيوي **Vital Space**

وقد برز هذا المفهوم في المفوضات حول الخليل تحت دعاوى الأمن المزعوم حين طالب المفاوض الإسرائيلي الجانب الفلسطيني بمنع استطالة البناء العربي في مواجهة أقطاب النمو الاستيطاني اليهودي في المدينة إضافة إلى وجود مجال حيوي يحيط بكل قطب منها يسهل مهمة الدفاع ويمنع أي اعتداء عليها .

سابعاً : مفهوم الدفاع في العمق **Defense in Depth**

وقد أبرز هذا المفهوم ما عرف باتفاق السلام المصري الإسرائيلي حين طالب وزير الدفاع الإسرائيلي بزحزحة حدود الهدنة (الخط الأخضر) نحو الشرق بسبب ضيق الأرض التي تسيطر عليها إسرائيل في مناطق

غرب الضفة الغربية وضعف عمقها. ويذكر أن إسرائيل تعمـــدت منـــذ احتلالها للضفة الغربية، على التوسع شرقاً في محاولة منها لزحزحة هذا الخط، وملء الأراضي بالمستوطنات التي قع على جانبي خـــط الهدنـــة. كذلك اعتبرت إسرائيل حزامها الاستيطاني على ضفة نهر الأردن خـــط دفاع أول لا يمكن التخلي عنه بأية حال وهذا بالطبع يحقق معنى الدفـــاع في العمق الذي نحن بصدده .

ثامناً : مفهوم التواصل الجغرافي Geographical Continuity

ويمثل مرحلة هامة في توسيع المستوطنات والتهامها للأرض الفلسطينية، ويهدف إلى وصل المستوطنات المتجاورة أو أقطاب النمو الاستيطاني مع بعضها ومع المستوطنات القريبة . وضمن هذا المفهوم أقيمـــت الطـــرق الالتفافية التي التهمت ١,٦٪ من مساحة الضفة الفلسطينية للوصـــل بيـــن المراكز الاستيطانية المختلفة من ناحية، وللتضييق وخنق وحصار مراكز التجمعات السكانية الفلسطينية التي تحولت إلى كنتونات معزولة من ناحية أخرى .

تاسعاً : مفهوم التواصل الديمغرافي Demographical Continuity

يمثل هذا المفهوم الهدف الاستراتيجي للدولة العبرية في فلسطين، ويقـــوم على أساس تحقيق ربط سكاني يهودي غير منفصل بين مراكز التجمعات الإسرائيلية من أجل تحقيق أغلبية يهودية . وفي هذا السياق يصح القـــول بأن اندفاع إسرائيل للوصول إلى السيادة في القدس، كـــان منـــذ بدايتـــه جغرافياً في توجيهه، ديمغرافياً في جوهره، فبعد ســـنة ١٩٦٧، وحيـــن ضمت القدس الشرقية وتم توسيع الحدود البلدية ثلاثـــة أضعـــاف، كـــان الهدف تحقيق أغلبية يهودية في المدينة تصـــل نسبتها إلى ٩٥٪، ولم يكن

في القدس الشرقية سنتها أي يهودي، ومنذ العام ١٩٩٣ بلغ عدد اليهـــود ١٦٠,٠٠٠ نسمة بينما بلغ عدد العرب ١٥٠,٠٠٠نسمة . وفي هذا السياق تقول سارة كامنكر : إن الإنجاز الذي حققته إسرائيل في القدس هو مـــن أعظم التغييرات الديمغرافية في تاريخ العالم " .

لقد أخذ مفهوم التواصل الديمغرافي في القدس التي تمثـــل قلـــب الضفـــة الفلسطينية ثلاثة أبعاد هي:

(١) **البعد الداخلي**، حيث البلدة القديمة التي تسعى إسرائيل جاهدة لتهويدها داخل الأسوار، وفوق الأرض عن طريق الســـيطرة علـــى أحيائهـــا القديمة، وتحت الأرض عن طريق حفر الأنفاق العديدة تحت دعاوى ومسميات مختلفة .

(٢) **البعد الحلقي**، حيث أقيمت حلقات استيطانية عديدة على هيئة أنصاف دوائر تمثل البلدة القديمة مراكز أنصاف أقطارها، ثم محاولة تحقيـــق التواصل الجغرافي والديمغرافي على طول أنصاف الدوائر هذه .

(٣) **البعد القطري**، حيث تعبأ محاور أنصاف الدوائـــر الســـابقة لتصـــل المستوطنات الحلقية كل حلقة بالأخرى تحقيقاً للتواصل بين الحلقـــات من جهة ولتسهيل مهمة الدفاع في العمق من جهة أخرى .

عاشراً : الهيمنة الجزئية والكلية Partial and Total Domination

وتعني انتشار المستوطنين كأغلبية في أي إقليم من أقاليم الضفة الفلسطينية وهذا ما يعرف بالهيمنة الكاملة في مساحة تبلغ ١٨,٢٪ من مساحة الضفة كلها . تشكل ٨٩ مستوطنة يسكنها ١٠٥ آلاف مستوطن، وهو ما يعـــادل ٨٧٪ من مستوطني الضفة الغربية . أما الهيمنة الجزئية فتعني انتشـــاراً سكنياً غير متجانس. وقد ساعدت الطرق الالتفافية التي شقتها الحكومـــة الإسرائيلية على زيادة الهيمنة الإقليمية السكانية اليهوديـــة بشكل ملموس،

وحولت مناطق السلطة الوطنية الفلسطينية إلى معـــازل reserves علـــى طول المناطق الجبلية .

*** اعتبارات مواقع ومواضع المستوطنات**

الموقع Location ومثله الموضع Situation هما أهم محددات الاعتبارات الجغرافية التي راعاها الاستعمار الاستيطاني اليهودي في فلسطين . وقـــد بـــذل مخططو الاستيطان جهوداً حثيثة وأعطوا عناية خاصـــة لاختيـــار موقـــع كـــل مستوطنة بما يتلاءم وظروف المرحلة ودواعي الإنشاء وأهدافه .

وبشكل عام يمكن اعتبـــار المحـــددات Determinants التاليـــة، والتـــي بمراعاتها جميعاً أو اختيار واحد منها أو أكثر، يتم اختيار موقع ما لإقامة نقطـــة استيطانية .

١. استراتيجية الموقع .
٢. مجاورة تجمع سكاني عربي .
٣. خلو الموضع من السكان العرب .
٤. الإشراف على محاور الطرق الرئيسية .
٥. إمكانية استغلال الموقع اقتصادياً .
٦. القرب من الحدود الإقليمية .
٧. تحقيق الموقع للأبعاد الجغرافية .

وعليه تكون الأهداف الوظيفيـــة [الاقتصاديـــة، الأمنيـــة، الديمغرافيـــة، والجغرافية] بالإضافة إلى إمكانية التطوير والإشراف على عقدة المواصـــلات المجاورة هي أهم محددات اختيار مواقع المستعمرات الاستيطانية .

إن المتفحص لتاريخ نشأة ونمو المستعمرات الإسرائيلية فـــي الضفـــة الغربيـــة وقطاع غزة يلاحظ بداية نشأة كل منها على شكل أقطاب نمو Growth Poles .

ففي البداية تقام نقاط استيطانية أو ركـــائز أو مراصـــد أو منـــاطر اســـتيطانية طلائعية، ثم تبدأ كل واحدة منها في النمو السرطاني والتوسع الامتدادي للتحـــول إلى قرى استيطانية أو حتى مراكز تطوير أو مدن استيطان . ولكل مســـتوطنة سمات وملامح يمكن حصرها فيما يلي :

أ. شغل أكبر مساحة جغرافية من الأرض بهدف إعطاء المستوطن الشعور بالثبات والطموح.
ب. توفير منزل خاص وبسعر رمزي زهيد وبمزايا دفع خاص كي يشعر المستوطن بالاستقلالية وينجذب إلى الموقع الاستيطاني .
جـ. إضفاء مسحة جمالية على المستوطنة كشكل البيوت ونسق الشوارع وغيرها .
د. إيجاد أكبر قدر من التجانس السكاني للمساعدة على سرعة التأقلم فـــي البيئة الجديدة .
هـ. إيجاد اسم ملائم للمستوطنة يدل على حادثة أو حدث تاريخي لخلـــق العاطفة لدى المستوطن في الموقع الجديد .

كما لا يخفى أهمية الأثر السيكولوجي (النفسي) الذي يراعى مـــن وجـــود المستوطنة المرتبطة بغيرها، المنارة شوارعها المحاطة بالســـياجات والأســـلاك الشائكة وغير ذلك . بما يوحي بالشعور بالأمن للمستوطن اليهودي، ويترك أثراً سيكولوجياً معاكساً عند الفلسطيني – صاحب الأرض والحق – إذا مـــا شـــاهد المستوطنة وأنوارها الكثيفة وتحصيناتها المنيعة .

أما مواضع المستوطنات فتتقاطع مع مواقعها في الأهميـــة، وعليـــه فـــإن الأحزمة الاستيطانية التي أقامتها إسرائيل في الأراضي الفلسطينية المحتلة عـــام ١٩٦٧م قد بنيت في المواضع الآتية :

١. فوق القمم العالية المشرفة على ما حولها وهي بذلك أشبه ما تكون بقلاع الاكروبولس العسكرية . وتحقق هذه القمم العالية شروط سهولة الدفاع ومهمة الإشراف . وهنا تلعب منحدرات هذه الجبال دور الحصون والأبراج والأسوار في تسهيل مهمة الدفاع عن المستوطنة وتعقيد مهمة مهاجمتها من أية ناحية في أية حرب قادمة .

٢. الموقع الممتد في مناطق السرج لتسهيل مهمة ارتباط كل مستوطنة بما يليها وتحقيق أكبر قدر من الامتداد الجغرافي في حال توسيع المستوطنات وهبوطها إلى الأراضي الأدنى منها منسوباً.

٣. قيام بعض المستوطنات على المناطق المرتفعة من المنحدرات اللطيفة للكويستات أو الضلوع المنتشرة في أنحاء الضفة الغربية، وهي بذلك تحقق مظهر الاكروبولس إذا ما نظر إليها من جهة الانحدار اللطيف لهذه الضلوع. فهي بذلك تحقق هدفاً دفاعياً – اقتصادياً في آن واحد بالإضافة إلى سهولة المواصلات المتيسرة باتجاه الانحدار اللطيف , وتلعب المواصلات هنا دوراً هاماً في ربط الأحزمة الاستيطانية من جهة وربط كل مستوطنة بما يليها من جهة ثانية .

٤. قيام الأحزمة الاستيطانية على التخوم المحاذية للدول العربية المجاورة وخاصة الأردن، ففي وادي الأردن أقامت إسرائيل حزاماً متصلاً يوازي ويحاذي نهر الأردن من جنوب المجرى الأدنى لنهر اليرموك وحتى شمال مدينة أريحا . وبالمثل طورت إسرائيل أحزمة الاستيطان بمحاذاة حدود الضفة الغربية حتى ما عرف بحرب عام ١٩٦٧ وهذه الأحزمة والكتل الاستيطانية تمتد في نطاقات متصلة أحياناً ومنفصلة أحياناً أخرى على طول ما يعرف بخط الهدنة أو الخط الأخضر .

٥. قيام المستوطنات على طول محاور الطيات الالتوائية المحدبة في الضفة الفلسطينية المحتلة، وهذه المحاور تشكل مناطق خط تقسيم المياه بين الأحواض المائية الثلاثة المشكلة للضفة الغربية، وهذه الأحواض هي : (أ) الحوض الشرقي الممتد على السفوح الشرقية لجبال الضفة الغربية، (ب) الحوض الغربي الذي يمتد على السفوح الغربيةفي تلك الجبال، ثم (جـ) الحوض الشمالي الممتد على المنحدرات الشمالية لجبال نابلس والذي ينحدر باتجاه سهل مرج بن عامر.

إن هذه المستوطنات تشغل أعلى الجبال فهي بذلك تحقق هدفاً دفاعياً واضحاً تشرف من خلاله على السفوح المنحدرة شرقاً وغرباً وتسهل مهمة الدفاع عنها من جهة وعن مناطق التجمعات السكانية الإسرائيلية الكبرى في السهول الساحلية حيث مراكز الثقل السكاني الكبرى. وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه المستوطنات تطل وتجاور التجمعات السكانية الفلسطينية على طول هذه المحاور وخاصة محور جنين – نابلس – رام الله – القدس – الخليل الممتد من الشمال نحو الجنوب . كما تسهل مهمة التوسع الذي يمتد بانسياب طبغرافي في كلا الاتجاهين الشرقي والغربي لهذه المحاور ذات الامتداد الطولاني .

أخيراً يظهر لكل ذي بصيرة أن البرنامج الاستيطاني الإسرائيلي في فلسطين المحتلة لم يكن عشوائياً في إنشائه أو اختيار مواقع تجمعاته، بل كان ضمن خطة مدروسة يتحقق من خلالها الأمن والاقتصاد والتوسع وتحقيق التواصل الجغرافي والديمغرافي على طول الأحزمة والكتل الاستيطانية في الضفة الغربية . ولقد لعبت خطوط المواصلات التاريخية سواء الطولانية منها أو العرضانية دوراً هاماً في ذلك وخاصة الطريق التاريخي الواصل بين بئر السبع – الخليل – القدس – رام الله – نابلس – الجليل. وبالمثل الطريق العرضاني الواصل بين حيفا والأغوار والضفة الشرقية للأردن ويافا – القدس – أريحا – الضفة الشرقية.

الحي اليهودي في مدينة الخليل

١٨٥٠ – ١٩١٨م

د. أمين مسعود أبو بكر

جامعة القدس المفتوحة – نابلس

الموقع :

يقع الحي اليهودي وسط مدينة الخليل إلى الغرب من الحـــرم الإبراهيمـــي، ويحيط به من الشمال محلة القزازين أو " الزجاجية" ومن الجنوب والشرق محلـــة بني دار ومن الغرب الحواكير الممتدة على مجرى وادي سابية الذي يعبر المدينـــة من الشمال إلى الجنوب، وكان يعرف باسم "محلة" شأنه في ذلك شأن بقيـــة أحيـــاء المدينة، والمحلة مصطلح تردد على ألسنة سكان الإمبراطورية العثمانيـــة ويطلـــق على وحدة عمرانية تنتظم في هيكلية جغرافية واجتماعية واقتصادية مميزة، وغالباً ما تتألف من مجموعة من الحارات والحارات من مجموعة من الأزقة والأحـــواش الأزقة والأحواش من مجموعة من البيوت ومرافقها العامة والخاصة كدور العبادة، والحمامات، والأسواق، والمدابغ، والأســـبلة، والطـــرق، والســـاحات والقنـــاطر، والقنوات، والمدارس، ومواقف العربات ... إلخ ونتيجة لحملات التغلغل الصهيوني الواسعة النطاق التي تعرض لها الحي أخذ تعبير " كبانية اليهود" يطغى في بعـــض الأحيان على تعبير محلة الشائع الاستعمال.

النشاط العمراني :

تعود بدايات البناء في الحي إلى مطلع القرن السادس عشر عندما اســـتقرت (٢٠) عائلة يهودية مهاجرة خرجت مع المســـلمين مـــن الأندلـــس تحـــت وطـــأة الاضطهاد الديني الذي أخذ الأسبان بممارسته ضد المسلمين واليهـــود علـــى حـــد سواء، وبموجب ذلك أصبحت تعد في عداد رعايا السلطان والتبعة العثمانيـــة كمـــا انخرطت في صفوف المجتمع المحلي وقامت بينها وبين المسلمين علاقات اقتصادية واجتماعية وثيقة وهو ما يفسر قدوم (١٥) عائلة مهاجرة من أهالي صفد لتقيم إلـــى جانبها عام ١٨٢٠م.

ونلاحظ أن الحي اليهودي ابتداءً كان يعد حارة من حارات محلة بني دار أشهر محلات المدينة، التي كانت تضم ثلاث حارات هي : حارة القزازين والقصاروه واليهود ، إلا أن اتساع نطاقها العمراني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر قد جعل منها محلة قائمة بذاتها مستقلة عن محلة بني دار التي أخذت في التراجع شيئاً فشيئاً أمام تقدم محلة القزازين وباب الزاوية القائمة عند المداخل الشمالية الغربية للمدينة.

ومن الجدير بالذكر أن العوارض الطبيعية التي كانت تعصف بالمدينة من حين لآخر واضطراب حبل الأمن نتيجة لتراجع هيبة زعاماتها وسيطرة الزعامات الريفية عليها منذ مطلع القرن التاسع عشر، والتمرد الشعبي الذي انتاب مقاطعات جبل الخليل عامة والمدينة خاصة على السلطة المصرية ١٨٣٤م وإقدام الأخيرة على إخضاعها بمدافع الميدان ودخولها في دوامة الحرب الأهلية بين صفي القيس واليمن ما بين ١٨٤١ – ١٨٦٤م قد قوض البنية السكانية لها، فما أن شارف العقد السادس على النهاية حتى غدت قرية بائسة احتفظت لنفسها بلقب مدينة الذي تناقلته الأجيال، فمن أصل (٧٠٠) يهودي كان يقيم في الحي عام ١٨٣٩م وذلك في أواخر الحكم المصري الذي تسامح بشكل مفرط مع الطوائف المختلفة ومنح حق حماية الطائفة اليهودية في فلسطين للقنصلية البريطانية في القدس منذ أن فتحت أبواها هناك عام ١٨٣٨م، لم يبق في الحي سوى (٥٤) يهودياً وفقاً للإحصاءات الرسمية المثبتة في سجل نفوس ١٨٤٩م.

ومع نهاية الحروب الأهلية وإخضاع الزعامات المحلية وفي مقدمتها زعامة آل عمرو في دوره والعزة في بيت جبرين، واللحام في بيت عطاب، والعملة في بيت أولا، وفرض نظام الحكم المركزي ١٨٦٤م أخذ الحي اليهودي يشهد انتعاشاً سكانياً شأنه في ذلك شأن بقية أحياء المدينة، وجاء ذلك من خلال عودة العائلات التي لجأت للمدن الأكثر أمناً واستقراراً من الخليل، ففي عام ١٨٧١م بلغ عدد سكان الحي (٢٠٠) يهودي وفق الإحصاءات العثمانية الرسمية، كما

ارتفع إلى (٦٠٠) يهودي عام ١٨٧٥م حسب تقديرات قائم مقام الخليل، وباعتماد التقرير الرسمي الأخير الذي قد يكون مستنداً إلى سجلات دائرة النفوس المحفوظة في سراي الحكومة نجد أن عدد سكان الحي قد تضاعف خلال ألـ (٤) عقود التالية عدة مرات ليصل حوالي (٣٠٠٠) يهودي وتعزى هذه الزيادة المفاجئة إلى فائض الهجرة الوافدة من المدن والأقاليم العربية والإسلامية وروسيا وفرنسا وإنجلترا وألمانيا والنمسا ورودس واليونان والولايات المتحدة الأمريكية.

ونتيجة للزيادة المضطردة في عدد السكان وحاجتهم للسكن وإنشاء المدارس والكنس وملاجئ المهاجرين وغيرها من المؤسسات، دفع بالحي إلى إعمار المباني الآيلة للخراب في العقود الماضية والتوسع الرأسي في البناء ورفع المباني لأكثر من طابق والزحف على الأراضي المجاورة المحاذية لمجرى وادي سابية، وبموجب أحكام الوقف التي حكمت أراضي مدينة الخليل تصرفاً واستغلالاً وحيازة كان يترتب على المتصرفين بأراضي الحي تقديم بدلاً نقدياً أو حكراً سنوياً لمتولي الوقف مقابل التصرف بمنافع الأرض شأنهم في ذلك شأن المتصرفين المسلمين بأراضي الأحياء الأخرى. وبالتالي فإن مباني الحي المختلفة يجري عليها حكم الأموال المنقولة لأن أراضي المدينة لا تملك عملاً بالنص القاضي :- " أن أراضي هذه البلدة إما أن تكون تابعة لأوقاف السيد الخليل أو لأوقاف سيدنا تميم الداري وأن رقبة تلك الأرض لا تملك بوجه ما كما هو محرر بالكتب الفقهية وأن جميع أراضي هذه البلدة بيد الأهالي بطريق الاحتكار ولا يخفى أن الاحتكار عقد آجار".

وبموجب قواعد الشريعة وأحكام الدستور العثماني تسامحت الدولة العثمانية مع سكان الحي من الطوائف والجنسيات كافة، وعملاً بهذه السياسة منحتهم التراخيص اللازمة لبناء المدارس والكنس والمؤسسات الخيرية، وممارسة شعائرهم الدينية داخل الكنس وخارجها وذلك بالصعود والوقوف على الدرج

الغربي المؤدي للحرم الإبراهيمي، وإشراكهم في مجلس الإدارة، والاختيارية، والبلدية، والمعارف الأمر الذي انعكس على العلاقات العامة بين الحي والأحياء الإسلامية الأخرى، إلا أن تغلغل الحركة الصهيونية في الحي وسعيها الدؤوب نحو إنفاذ مشاريعها الاستيطانية على الأرض، حمل الدولة على إعادة النظر ببعض أحكام القوانين والأنظمة وإخفاء نوعٍ من الرقابة الصارمة على النشاط اليومي للسكان بهدف وضع حد لكل مخطط أو مشروع يتعارض مع سيادتها على الأرض والسكان وإبطال كل محاولة من شأنها التحايل والالتفاف على قوانينها وأنظمتها المرعية.

ويتجلى موقف الدولة الحازم من حملات التغلغل الأجنبي في الأوامر الشديدة اللهجة التي أصدرها متصرف القدس من ديوانه في مدينة القدس عام ١٨٩٧م بصفته أعلى ممثل للسدة السلطانية في المتصرفية والتي جاءت بناء على خلفية المعلومات المؤكدة الواردة في ديوانه في مدينة القدس حول قيام وكالة أوقاف الخليل بإدخال أناس من غير المسلمين إلى الحرم الإبراهيمي بحجة أنهم من عمال الصيانة والتنظيف وجاءت تلك الأوامر بالصيغة التالية :- "

مقدما في ١١ أيلول ٣١٣ صارت الإفادة لكم بأن لا ترخصوا لأحد يدخل الحرم الشريف الإبراهيمي مطلقاً من الملل المغير مسلمة سواء كانوا معلمين أو غير معلمين ما لم يحضر أمراً مصرحاً لكم من يلزم إدخاله للحرم الشريف لأجل الشغل اللازم والآن فهمنا ممن يوثق به أنه بعد إفادتنا هذه لكم صار إدخال بعض الناس الغير مسلمين للحرم بداعي أنهم من الصناع أو معلم أو مهندس فلذلك نؤكد بأنه من الآن فصاعداً لا تمكنوا أحداً يدخل الحرم الشريف المشار إليه من صناع وخلافه ما لم يحضر أمراً مصرحاً باسمه وصفته وأشكاله وتجرو التنبيهات الشديدة على البواب والخدمة بأن لا يمكنوا أحداً يدخل الحرم الشريف وإذا أحد دخل الحرم بدون أمر من اللوا فبأول الأمر تكونوا أنتم المسؤولين وثانياً يصير طرد البواب ومن كان حاضراً من الخدمة بناء عليه صا تحرير

هذا تأكيداً لصواب فضيلتكم .... " وبموجب هذا الإجراء ظل المتصرف يتابع أمر الدخول إلى الحرم وأعمال الصيانة فيه وإصدار التراخيص اللازمة للعمال والفنيين من غير المسلمين لدخوله وكانت هذه التصاريح تحمل أسماءهم وكناهم وعددهم والأعمال التي سوف يقومون بها وذلك إلى حين الانتهاء من أعمال الصيانة.

وبناء على ما تقدم نصل إلى نتيجة مؤداها أن الحركة الصهيونية استطاعت أن تجد لنفسها موطئ قدم من مدينة الخليل أشد المدن الفلسطينية محافظة، وذلك من خلال ربط سكان الحي اليهودي القدماء بالفكرة الصهيونية وحشد أكبر قدر من المستوطنين إلى جانبهم، وإنشاء المؤسسات الاستيطانية تحت ستار العمل الخيري، وتسخير الوجود القنصلي الكثيف للدول الأجنبية في مدينة القدس لحماية مشروعها الاستيطاني، وتجنيد ذوي الضمائر الفاسدة من الرعايا المسلمين كطابور خامس يعمل لصالحها تحت وطأة الإغراء المادي، وما أحداث مدينة الخليل في الوقت الحاضر إلا امتداد لممارسات الحركة الصهيونية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع العشرين.

العرب في الخليل ليسوا سفاحين

أيها المندوب السامي Chancellor

د. تيسير جبارة

جامعة النجاح الوطنية

كانت قد حصلت حوادث صدام بين العرب واليهود في ١٩٢٩/٨/٢٣م حول حائط البراق الشريف. وعرفت هذه الحوادث بثورة البراق . ومن المعروف أن البراق الشريف هو وقف إسلامي، كما أن الساحة الواقعة أمامه "ساحة أبي مدين" هي وقف إسلامي أيضاً. ويقف اليهود عليها للصلاة أمام البراق الشريف الذي يطلق عليه اليهود حائط المبكى. وقد حاول الصهاينه مراراً في هذا القرن شراء حائط البراق من المسلمين ففشلوا، وحاول وايزمن (الزعيم الصهيوني) أن يوسط الإنجليز لمحاولة شراء الأماكن الإسلامية من المسلمين، وعرض مبالغ طائلة لدفعها للمسلمين ولكن جميع محاولاته باءت بالفشل. وزادت غطرستهم بتحدي المسلمين فقاموا بمظاهرة أمام الحائط وهتفوا قائلين هذا الحائط حائطنا، لذا تصدى المسلمون لهذا التحدي فنشبت الحوادث عام ١٩٢٩م. وامتد لهيب هذه الحوادث إلى بقية أجزاء فلسطين ومنها الخليل. فقام المسلمون في الخليل بهجوم على الحي اليهودي في المدينة أسفر عن قتل ٦٠ يهودياً وجرح العشرات. وقد كتب الصهاينة إلى بريطانيا أن المسلمين لم يكتفوا بقتل اليهود في الخليل بل قاموا بالتشنيع في الجثث اليهودية مثل قلع العيون وقطع الأنوف والآذان وأعضاء من الجسم، كما اتهم اليهود بعض شيوخ الخليل بأنهم حرضوا المسلمين على ذبح اليهود، فقد اتهموا الشيخ طالب مرقة بأنه قال لأهل الخليل " انتقموا لدماء أخوانكم المسلمين الذين ذبحوا في القدس " . ورغم هذا الاتهام فإن الشيخ طالب مرقه كان مرشحاً للإعدام حسب توقعات اليهود، ولكن ثبتت براءة الشيخ بعد أن حوكم أمام المحكمة العسكرية وهذا يدل على بطلان اتهام اليهود له.

والحقيقة أن العرب في الخليل عاملوا اليهود في المدينة معاملة حسنة طوال السنوات التي سكنوا فيها في المدينة، حتى إنَّ عدداً من أهل الخليل العرب قاموا بحماية عدد من اليهود في أثناء حوادث عام ١٩٢٩م واعترف اليهود بذلك عندما وصلت أنباء الحوادث إلى لندن من المنظمة الصهيونية، كان المندوب السامي نشانسلور في بريطانيا، لذا رجع على الفور واتهم العرب بأنهم مجرمون قتله، فقال " عدت فوجدت البلاد في حالة اضطراب ... استفظعت ما علمت به من أعمال القسوة التي اقترفتها جماعات من السفاحين الظمأى إلى الدم والأشرار الذين ارتكبوا جنايات قتل وحشية ضد أشخاص آمنين من السكان اليهود على اختلاف أعمارهم، وقد اقترنت تلك الجنايات كما في الخليل بأعمال همجية ... " . وقد رفض العرب هذه الاتهامات العشوائية التي أطلقها دون تحقق أو تثبت.

قال موسى كاظم الحسيني – رئيس اللجنة التنفيذية الفلسطينية – إن المندوب السامي في كلامه هذا كان متحيزاً لليهود، إذ كان عليه بدل ذلك أن يرسل ويسمع الشكاوي العربية واليهودية قبل أن يتسرع في إصدار بيان غير قائم على الحقيقة.

كما بعث الأطباء والصيادلة والمحامون في فلسطين برقيات إلى المندوب السامي احتجوا فيها على بيان المندوب السامي الذي اتهم العرب بأنهم مجرمون، فقالوا في برقياتهم للمندوب السامي : " قرأنا بكل أسف واندهاش منشور فخامتكم المؤرخ في ١٩٢٩/٩/١م الذي أقل ما يقال فيه أنه سابق لأوانه وأنه لا يتفق مع روح العدل والإنصاف ... منشور فخامتكم تسرعتم بنشره وأهنتم فيه الأمة العربية . لذا شكلت حكومة الانتداب لجنة طبية للتحقق من الاتهامات الصهيونية في تشنيع الجثث اليهودية، وقد كانت مكونة من ثلاثة أطباء عرب وثلاثة أطباء إنجليز وثلاثة أطباء يهود .

وقامت هذه اللجنة الطبية بنبش قبور اليهود وفحص الجثث اليهودية، وبعد فحص الجثث لم تجد اللجنة أثراً للتشنيع أو التمثيل في الجثث اليهودية، حتى أن الأطباء اليهود أنفسهم طلبوا عدم إكمال فحص بقية الجثث بعد أن فحصوا ٢٤ جثة يهودية وهذا يدل على أن تسرع المندوب السامي تشانسلور في اتهام العرب بالتشنيع في الجثث اليهودية، فالعرب في الخليل ليسوا سفاحين ولا مجرمين كما وصفهم المندوب السامي .

لقد جاءت لجنة " شو " الإنجليزية إلى فلسطين لتقصي الحقائق حول حوادث البراق الشريف، وبعد القيام بمهمتها قدمت تقريرها إلى وزير المستعمرات وجاء فيه : إن السبب المباشر لحوادث البراق هو قيام اليهود بمظاهرة قرب الحائط بتاريخ ١٩٢٩/٨/١٥م، وأوصت اللجنة بضرورة تحديد الهجرة اليهودية، كما أثبتت اللجنة ملكية المسلمين للحائط وساحة وقف (أبو مدين).

شكل الإنجليز محكمة عسكرية لمحاكمة العرب واليهود الذين اشتركوا في الحوادث عام ١٩٢٩م، وأصدرت المحكمة العسكرية حكم الإعدام على فؤاد حجازي وعطا الزير ومحمد جمجوم.

وبعد حوادث عام ١٩٢٩م رحل كثير من أهالي الخليل إلى القدس بتشجيع من الحاج أمين الحسيني مفتي القدس وذلك لحماية البراق الشريف من أي اعتداء يهودي في المستقبل، واقاموا في المدينة المقدسة منذ تلك الفترة إلى يومنا هذا . لذا نجد عائلات عربية في القدس من أصل خليلي .

لم ينس اليهود حوادث عام ١٩٢٩م في الخليل، لذا قام عدد من المستوطنين اليهود باعتداء إجرامي صهيوني على جامعة الخليل عام ١٩٨٣م وأطلقوا النيران على الطلبة فاستشهد ثلاثة طلاب وجرح العشرات .

وفي عام ١٩٩٤م ارتكب الصهيوني باروخ غولدشتاين مجزرة في الحرم الإبراهيمي إبان صلاة الفجر في رمضان فاستشهد عدد من أهالي الخليل .

الصراع الديمغرافي في الخليل

د. تيسير عبد الحافظ مسودي
مدير التربية والتعليم في محافظة الخليل

مُقدّمة:

هذه الدراسة محاولة أولية لرسم صورة للصراع الديمغرافي حول مدينة خليل الرحمن عامة والجزء الذي لا زالت إسرائيل تخضعه لسيطرتها – ويشكل حوالي ٢٠٪ – خاصة. أي أن إسرائيل لا زالت تحتل ٢٠٪ من مجموع مساحة المدينة بما يزيد على ٧٠ ألف نسمة، أو حوالي ٦٠٪ من مجموع سكان المدينة.

الفرضية :

تقوم فرضية هذه الدراسة على أن الصراع الديمغرافي في الخليل منذ العهد العثماني وحتى الآن في مواجهة الظروف الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية المتمثلة في التهجر القسري والتهويد المنظم، لم تكن في صالح الخليل كقضاء ولا في صالح المدينة وخاصة البلدة القديمة إذ كان حجم الهجمة الديمغرافية أكبر من القدرة على التحدي والصمود .

عناصر الدراسة :

تزايد نسبة سكان الخليل ما بين ١٨٠٠ و ١٨٨٠، حيث ارتفع عدد السكان من ٥٤ ألفاً عام ١٨٠٠، إلى ١٢٠٧٥٠ عام ١٨٨٠، أي أن سكان مدن فلسطين قد تضاعفوا مرات عدة، وبالمثل فقد ارتفع سكان الخليل في نفس الفترة من ٥٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ نسمة. وقد كانت الخليل خلالها تحتل المرتبة الرابعة سكاناً في فلسطين .

سكان الخليل في عهد الانتداب البريطاني

ففي تعداد ١٩٣١ الذي أجرته حكومة الانتداب البريطاني، قد ارتفع إلى (٦٧٦٣١) نسمة بعد أن كان في تعداد ١٩٢٢ (٥٣٥٧١) نسمة. أي أن معدل نمو سكان الخليل خلال حقبة التعدادين قد بلغت ٢٢,٨ بالألف، وقد كان بذلك أقل بكثير من معدل نمو السكان العرب في فلسطين والذي بلغ ٣٥,٨ بالألف .

إن دلالة هذه الأرقام تظهر أن قضاء الخليل كان من الأقضية الطاردة للسكان وخاصة بين الذكور. وعلى سبيل الإيضاح كان معدل نمو سكان المدينة ٦,٢ بالألف فقط ، أما معدل نمو سكان الريف فكان يبلغ ٢٩,٦ بالألف .

*** أما الهجرة من القضاء فكانت باتجاهين :**

<u>أولاً</u> : داخلية نحو الأقضية التي شهدت نمواً اقتصادياً ملموساً كالقدس ويافا وحيفا.

<u>ثانياً</u> : خارجية اتجهت نحو الدول العربية المجاورة كالأردن وسوريا ومصر .

أما الأسباب التي وقفت خلف الهجرة من الخليل فتتمثل في الموقع الجغرافي، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وكذلك الأوضاع التعليمية والظروف السياسية .

أما في نهاية العهد البريطاني (١٥ أيار ١٩٤٨) فقد قدر سكان الخليل المقيمون فيها بحوالي ٩٦٩١٢ نسمة وذلك بناءاً على معدل نمو السكان خلال الانتداب الذي قدره الباحث بنحو ٢٥,٧ بالألف.

سكان الخليل في عهد الأردن :

سببت نكبة عام ١٩٤٨ هجرة وافدة كبيرة للاجئين الفلسطينيين، حيث وفد إلى الخليل قرابة ٥٠ ألف مهاجر، أقام بعضهم في مخيمين هما : الفوار والعروب، كما سكن آخرون المغاور والبيوت المهجورة، وسكن البعض الآخر المدن والقرى .

لقد بلغ عدد سكان الخليل عام ١٩٥٢ حوالي ١٢٥٦٥١ نسمة. أي نحو ١٦,٩٪ من مجموع سكان الضفة الغربية في ذلك العام. أما مدينة الخليل فقد ارتفع سكانها من ٢٥ألف عام ١٩٤٤ إلى ٣٥٩٨٣ ألفا في تعداد ١٩٥٢ أي نحو ١٤٪ من مجموع سكان المدن في الضفة الغربية .

كما بلغ عدد سكان لواء الخليل في تعداد ١٩٦١ نحو ١١٩ ألف نسمة، وهذا الرقم أقل من رقم عام ١٩٥٢ ويرجع ذلك، إلى الهجرة نحو الخارج، بسبب ضغط السكان على الموارد .

سكان الخليل في عهد الاحتلال الإسرائيلي

حسب التعداد الذي أجرته إسرائيل في أيلول ١٩٦٧، فقد بلغ السكان ١١٨ ألف نسمة أي ١٨٪ من سكان الضفة الغربية. ومن هؤلاء ٣٨ ألفاً كانوا يقيمون في المدينة، وهذا يعني أن حوالي ٥٠ ألفاً قد هجروا قضاء الخليل على أثر نكسة عام ١٩٦٧ .

خصائص السكان في محافظة الخليل عام ١٩٩٥

يتضح من نتائج المسح الديمغرافي الذي أجرته دائرة الإحصاء المركزية الفلسطينية، إن سكان الخليل يتميزون بما يلي :

** من حيث التركيب العمري :*

مجتمع الخليل مجتمع فتي ، ذلك أن نسبة الذين تقل أعمارهم عن ١٥سنة هو حوالي ٤٩٪ . أما الذين تزيد أعمارهم عن ٦٠ سنة فتبلغ نسبتهم ٤,٣٪ .

** أما التعليم :*

بلغت نسبة الأمية في محافظة الخليل عام ١٩٩٥ حوالي ٢٠٪، وهي منخفضة بين الذكور (١٢,٦٪) ومرتفعة بين الإناث (٢٦,٥٪) .

* *أما القوة العاملة :*

فقد بلغت نسبة الملتحقين بالعمل حوالي ٢٠٪ من مجموع الأفراد المشمولين في المسح. وترتفع هذه النسبة إلى حوالي ٣٩٪ لمن هم في سن ١٥ سنة فأكثر .

* *أما الحالة الاجتماعية:*

فقد أظهر المسح أن ٥٥٪ من الذكور كانوا متزوجين عند إجراء المسح ، بينما ترتفع هذه النسبة إلى حوالي ٦١٪ لدى الإناث .

وقد أوضح المسح أن ظاهرة الزواج من الأقارب هي الشائعة في محافظة الخليل .

الخصائص السكانية في مدينة الخليل القديمة عام ١٩٩٦

بلغت نسبة الذكور بين سكان البلدة القديمة ٥١٪، ونسبة الجنس ١٠٤,٣ ذكراً لكل مئة امرأة. وقد بلغ متوسط حجم الأسرة هناك ٦,٤ فرداً، وهذه النسبة أقل من متوسط اللواء (٧,٦فرداً) ويرجع ذلك إلى كون سكان المدينة القديمة هم سكان مدن، وأن النسبة الأعلى هي في الريف .

أما نسبة الأمية فهي ١٥,٤٪ للجنسين، ونسبة السكان النشيطين اقتصادياً (١٠ سنوات فأكثر) فقد بلغت ٣٥,٨٪ وهي مرتفعة بين الذكور لتصل إلى ٦٤,٨٪ وتنخفض بين الإناث إلى ٥,١٪ .

أما المشتغلون فنسبتهم حوالي ٦٠٪، ونسبة البطالة بين سكان البلدة القديمة فتبلغ ٦,١٪، وهي نسبة تبدو منخفضة ومقبولة أيضاً .

لقد أظهرت الدراسة أن هناك علاقة ارتباط عكسية قوية بين البطالة والمستوى التعليمي. إذ تبين أنه كلما ارتفع المستوى التعليمي للأشخاص أدى ذلك إلى انخفاض نسبة البطالة بينهم .

أما المهن التي يعمل فيها المشتغلون فيغلب عليها طابع العمل اليدوي، التي لا تتطلب مهارة أو علماً، كالباعة، أو العمل في المحلات التجارية، والأسواق والحرف ونحو ذلك .

خاتمـــه:

اتضح من تتبع مراحل الصراع الديمغرافي في الخليل، أن الظروف الطبيعية الحادة ممثلة بالواقع والمناخ والتضاريس ونضوب مصادر المياه، واقتطاع نصف مساحة قضاء الخليل عام ١٩٤٨، والظروف الاقتصادية الصعبة الناجمة عن انخفاض الدخل وتدني مستوى المعيشة، وعدم وضع خطة تنمية اقتصادية واجتماعية متوازنة، وكذلك الظروف السياسية الناجمة عن نكبة عام ١٩٤٨ وما أسفرت عنه من هجرة قسرية لسكان المناطق، التي احتلت من فلسطين في ذلك العام ، ونكسة ١٩٦٧ وما أسفرت عنه أيضاً من هجرة قسرية ثانية لسكان فلسطين ومن بينها سكان الخليل، وعمليات الهجرة المنظمة، وتفريغ المدينة القديمة من سكانها من خلال خلق ظروف غير ملائمة للإقامة، سواء كان ذلك من خلال إقامة بؤر استيطانية تثير القلق والإرهاب بين السكان ، أو فرض منع التجول لفترات طويلة على السكان في البلدة القديمة ، وعدم تطوير البنية التحتية في هذه البلدة وخاصة في فترة إدارة البلدية من قبل الضابط الإسرائيلي "زمير شيمش"، هذه الظروف في مجملها أدت إلى هجرة سكانية مستمرة ومتعاقبة، اتخذت أنماطاً عديدة منها :

١. هجرة من البلدة القديمة إلى ضواحي المدينة .
٢. هجرة من المدينة والقرية إلى ألوية الضفة الغربية الأخرى ، وخاصة لواء القدس والألوية الشمالية .
٣. هجرة من المدينة والقرى إلى الأردن وخاصة العاصمة عمان .
٤. هجرة من المدينة والقرى إلى الدول العربية المجاورة لفلسطين بالحدود، وإلى الدول العربية الغنية بالنفط حيث تتوفر فرص العمل .
٥. هجرة من المدينة والقرى إلى الدول الأجنبية طلباً للعلم في بادئ الأمر، ثم الإقامة للعمل، ومن ثم "جر" الأسرة فيما بعد .

إن هذه الأنماط أدت إلى أن يصبح " الخلايله " المقيمين في خارج الخليل، يساوي إن لم يكن أكبر من عددهم المقيم فيها .

- ليس هذا فحسب بل إن الخصائص الديمغرافية التي أظهرها المسح الديمغرافي، والتعداد السكاني للبلدة القديمة، تشير إلى أن "نوعية" السكان المقيمين في البلدة القديمة، غير قادرين على التحدي الديمغرافي ومواجهة المستوطنين المتعلمين والمدربين، والذين ينعمون بمستوى معيشي مرتفع ويقيمون في البؤرة الاستيطانية، وفي مستوطنة "كريات أربعة" المجاورة لأهداف عقائدية توراتية.

ومن ثم فإننا إن رغبنا في كسب معركة الصراع الديمغرافي لصالحنا، فإنه لا بد من العمل على:

١. تركيز التطوير الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي في المنطقة المحتلة من مدينة الخليل، وتحسين البنية التحتية فيها لتساعد ليس فقط على تثبيت السكان في هذه المنطقة، ولكن أيضاً على جذب السكان إليها.
٢. دعم وإسناد لجنة إعمار الخليل لتواصل عملها الناجح في ترميم وصيانة المباني في البلدة القديمة، وإسكان المباني التي تم ترميمها من قبل أسر متعلمة وقيادية لتكون نموذجاً يحتذى في العودة إلى الجذور والتهيؤ لمرحلة التصدي التي هي لا محالة آتية .
٣. اطلاع الجاليات الخليلية في الخارج على خطورة الوضع الديمغرافي والسياسي في الخليل لحثهم على :
   أ. العودة إلى بيوتهم وأماكن سكنهم.
   ب. الاستثمار في مشاريع اقتصادية لتطوير المدينة وقراها.
   جـ. التبرع لدعم المؤسسات الوطنية والجمعيات الخيرية، وإنشاء المراكز الخدماتية والتعليمية في الخليل .

٤. إنشاء مراكز تسوق، ومراكز ترفيهية رياضية وثقافية، لجذب السكان إلى البلدة القديمة، لإحداث حالة تواجد مستمرة وليلية للسكان في هذه المنطقة .
٥. اتخاذ قرار رئاسي باعتبار الخليل منطقة تطوير من الدرجة الأولى ووضع الميزانيات الضرورية لتحقيق هذا الهدف التطويري الضروري.

وفي الختام فإننا ونحن نخوض صراعاً سياسياً شائكاً ومعقداً يستنفذ جل اهتمامنا وجهدنا ووقتنا، فإنه لا بد من أن ندرك بأن صراعاً ديمغرافياً مريراً نواجهه ليس في الخليل فحسب، بل في القدس أيضاً، وفي كافة محافظات فلسطين على حد سواء. وأنه لا بد من تسليط الضوء على هذا الصراع وأن نوليه المزيد من الاهتمام، حتى نتمكن من حسم معركة الصراع الديمغرافي لصالحنا.

مطبعة النصر - حجاوي
تلفون - ٠٩ ٢٣٧٩٩٩٤